الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون–تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

ابن تومرت مهدي الموحدين بين التقديس والتجريم

471هـ-524هـ/1078م-1129م

اعداد الطالبتين:
نور الهدى جلولي
امال زروقي

اشراف الدكتورة:
نوارة شرقي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
نعيمة طيب بوجمعة	أستاذ محاضر	رئيسا
نوارة شرقي	أستاذ محاضر ب	مشرفا
عبد القادر طويلب	أستاذ محاضر ب	مناقشا

الموسم الجامعي 2024– 2025م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ

شكر وعرفان:

أتقدّم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى الأستاذة الفاضلة شرقي نوارة، مشرفة هذا العمل، لما أولته لنا من اهتمام وتوجيهات قيمة طوال مراحل إنجازه، فقد كانت دعمًا حقيقيًا ومرشدًا علميًا متميّزًا، فكل كلمات الشكر لا توفيها حقها.

كما أعبّر عن بالغ امتناني لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، على قبولهم مناقشة هذا العمل، وعلى ما تفضّلوا به من ملاحظات بنّاءة وتوجيهات علمية ساهمت في إثرائه والارتقاء به.

فلكم جميعًا مني أسمى عبارات الشكر والتقدير.

إهداء:

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، الذي علّمني ما لم أكن أعلم، ويسّر لي سُبل الوصول، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

إلى عائلتي العزيزة، منبع الحب والدعم، كنتم الدعامة التي استندت إليها في كل لحظة ضعف، أدامكم الله نوراً في حياتي وسنداً لا يميل.

إلى رفيقة الدرب "أمال"، التي اقتسمت معي سنوات الجامعة بأفراحها وأحزانها

وإلى كل من مدّ لي يد العون، وأحاطني بحب لا يُقاس

جلولي نور الهدى

إهداء:

الحمد لله الذي وهبني الارادة لإكمال مشواري فهو رب العزة يستحق الثناء.

اهدي ثمرة جهدي هذا الى من سهرت لتألمي وحزنت لحزني الى من أفضلها عن نفسي الى التي انارت دربي بدعواتها الى مثلي الاعلى **امي الغالية** والى من كان سندا لي في كل الاحوال وخير قدوة في الحياة وعلمني مكارم الاخلاق **والدي العزيز** "**حفظهم الله واطال في عمرهم**".

الى الذين هم ملاذي ورمز فخري واعتزازي فأنا منهم وهم مني **اخوتي واخواني الاعزاء**.

والى كل من هم في قلبي ولم يذكرهم قلمي.

زروقي

امال

قائمة المختصرات

الكلمة المختصرة	معناها
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
ط	طبعة
د.ت	دون تاريخ
ج	جزء
ص	صفحة
ت	توفي
تو	توثيق
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة:

مقدمة

يعد ابن تومرت شخصية مثيرة للجدل في تاريخ المغرب الإسلامي، جمع في دعوته بين الأبعاد الدينية والفكرية والسياسية، مما جعل آراء المؤرخين تنقسم حوله بين من اعتبره مصلحًا دينيًا واجه الانحراف، ومن رآه صاحب فتنة استخدم الدين لتبرير العنف والسلطة عبر ادعاءات المهدوية والعصمة. ويسعى هذا البحث إلى تحليل دعوته بمنهج نقدي تاريخي، يكشف تداخلاتها وتناقضاتها، ويستعرض المواقف المختلفة منها بين التقديس والتجريم.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل شخصية ابن تومرت ودعوته من منظور عقدي وفكري، عبر تتبع أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية، مع استعراض المواقف التاريخية المتباينة نحوه بين التمجيد والتجريم. وتسعى إلى تقديم رؤية شاملة ومتوازنة تُبرز العوامل الدينية والسياسية التي أسهمت في تشكيل صورته بين القداسة والاتهام.

وجاء بحثنا تحت عنوان " **ابن تومرت مهدي الموحدين بين التقديس والتجريم 471هـ-524م/ 1078هـ-1129م**"

تم اختيار لهذا الموضوع نظرًا لمكانة ابن تومرت المحورية في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث مثّلت دعوته الدينية والسياسية تحولًا جذريًا في زمن الاضطراب والانقسام.

ويغطي الإطار الزمني (471هـ -524هـ / 1078م -1129م) مرحلة حياته التي شهدت بروز أفكاره وتأسيس مشروعه الإصلاحي، مما يجعل دراسته ضرورية لفهم التحولات الفكرية والسياسية في تلك الفترة، والجدل الذي أثارته شخصيته بين التقديس والتجريم.

حيث تفرض أهمية الموضوع نفسها من خلال الدور الذي لعبه ابن تومرت في الانتقال من حكم الدولة المرابطية إلى قيام الدولة الموحدية، ومن التباين الكبير في مواقف المؤرخين حوله بين التقديس والتجريم، مما يبرز الحاجة إلى دراسة علمية متوازنة. كما أن قلة الأبحاث التي تناولت شخصيته من هذا المنظور تمنح الدراسة قيمة علمية وجدة.

في سياق البحث والتقصي حول محمد ابن تومرت بين التقديس والتجريم نجد "محمد ابن تومرت حياته وآرائه وثورته الفكرية والاجتماعية أثرها بالمغرب" رسالة دكتورة بجامعة الأزهر مصر لدكتور عبد المجيد النجار تناولت الدراسة الجوانب الفكرية والعقدية لدعوة ابن تومرت، مركّزة على مشروعه الإصلاحي وموقفه من الفساد العقدي والسياسي في عصره. إلا أن هذه الدراسة تختلف معه في النظرة النقدية حيث تسعى إلى ابراز تباين مواقف المؤرخين بين تقديس وتمجيد وبين تجريم.

ومن هنا يتبرز الإشكالية التالي:

هل كان ابن تومرت شخصية إصلاحية تستحق التقدير أم أنه كان منحرفًا فكريًا وعقديًا، كما يدعي بعض المؤرخين؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات:

1-كيف تم تصوير الأوضاع السياسية، الاجتماعية، والثقافية في المغرب الإسلامي قبيل ظهور ابن تومرت، وما تأثير هذه الأوضاع على دعوته الإصلاحية؟

2-كيف كانت الحرب العسكرية بين ابن تومرت والمرابطين؟ وما هي الدوافع وراء تكفيره للمرابطين وتصعيد الصراع العسكري؟

3-ما هي المبررات العقدية والفكرية التي استند عليها ابن تومرت في دعوته للإصلاح الديني، وخاصة فيما يتعلق بالمهدوية والعصمة؟

4-ما مدى تباين مواقف المؤرخين من شخصية ابن تومرت بين التقديس والتجريم، وما العوامل التي ساهمت في تشكيل هذه الرؤى المختلفة؟

اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على استقراء الوقائع والأحداث المرتبطة بشخصية ابن تومرت ودعوته ضمن سياقها الزمني والسياسي والديني، مع التفرع إلى التحليل والنقد. حيث قمنا بتحليل الخلفيات الفكرية والعقدية لدعوته، وفهم أبعادها، كما اعتمدنا على المنهج النقدي في ابراز مواقف المؤرخين، للكشف عن التباين بين من مجّد ابن تومرت وقدّسه، وبين من حمّله مسؤولية الانحراف العقدي واستحلال الدماء. ويُتيح هذا المنهج تقديم قراءة موضوعية ومتوازنة بين التقديس والتجريم.

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية تم تقسيم هذا البحث على ثلاث فصول متكاملة، سعت إلى معالجة شخصية ابن تومرت من خلال السياق العام الذي نشأ فيه، وأبعاد دعوته الفكرية والسياسية، ثم الصورة التي رسمتها عنه المصادر بين التقديس والتجريم، وذلك على النحو الآتي :

في الفصل الأول إلى الظروف العامة التي عرفها المغرب الإسلامي قبيل ظهور ابن تومرت، وذلك من خلال دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، ثم انتقلنا إلى ترجمة شخصية المهدي ابن تومرت، حيث تناولنا اسمه ونسبه، مولده ونشأته، ملامح شخصيته، بالإضافة إلى رحلاته العلمية وتكوينه الفكري.

اما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة الجوانب العملية من دعوة ابن تومرت، حيث وقفنا أولاً عند مشروعه الإصلاحي الديني، مركّزين على محاربته للبدع واعتماده مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى جانب ادعائه للمهدوية واعتقاده بالإمامة والعصمة ووجوب الطاعة. ثم عرجنا في المحور الثاني إلى الصراع العسكري الذي خاضه ضد المرابطين، من خلال تكفيرهم، والمناوشات الأولى التي دارت معهم، وصولاً إلى حصار مراكش.

وأخيرا الفصل الثالث الذي تناولنا فيه الصورة المتباينة لابن تومرت كما وردت في المصادر التاريخية، حيث ناقشنا أولاً إلى مظاهر التقديس ، سواء من طرف الحكام أو المؤرخين، ثم تناولنا مظاهر التجريم التي وُجهت إليه، خاصة ما تعلق بالانحرافات العقدية والفكرية، من قبيل ادعاء المهدوية والعصمة، واستحلال وإراقة الدماء في سبيل ترسيخ دعوته.

قراءة وعرض لأهم المصادر والمراجع:

وقد اعتمدنا في إعداد مذكرتنا على مجموعة مصادر ومراجع منوعة حاولنا قدر المستطاع الاستفادة منها، وجعل محتوياتها تخدم موضوعنا، ونذكر من بين هذه المصادر:

1-يُعدُّ كتاب أخبار المهدي بن تومرت للبيذق (ت 550هـ/1165م) من أهم وأقدم المصادر التي تناولت سيرة المهدي وتأسيس دعوته في المغرب الإسلامي، حيث يتميز بكونه المصدر الوحيد المعاصر للمهدي، نظراً لأن مؤلفه البيذق كان من تلامذته وخدمه المقربين، وقد رافقه في رحلاته وكتب عنه ما بين عامي 547–550هـ تقريباً، مما يجعل معلوماته ذات قيمة عالية رغم عدم معاصرته لجميع الأحداث، وقد اعتمدت عليه معظم المصادر اللاحقة في تناولها لحياة ابن تومرت.

2-كتاب المعجَب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) مصدرًا مهمًا لدراسة العصر الموحدي، إذ ألّفه صاحبه في ظل هذه الدولة، ما يجعله شاهدًا قريب العهد بها، ورغم أن معالجته للجوانب السياسية في فترة الموحدين توصف بالسطحية، فإنه يظل مرجعًا ضروريًا لفهم السياق التاريخي العام للدعوة الموحدية ونشأتها.

3-كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" لابن القطان المراكشي (ت 65هـ/1252م) يعد من المصادر الهامة لدراسة تاريخ المغرب الإسلامي ودولة الموحدين. يتميز الكتاب بترتيبه وتنظيمه للأخبار التاريخية التي نقلها عن مصادر سابقة، مثل "فضائل المهدي" للقاسم بن المؤمن و"المغرب في زلازل أهل الغرب" لليسع بن عسى الغافقي، مما يوفر رؤى موسعة حول الأحداث السياسية والشرعية في فترة الموحدين. ورغم بعض النقد حول سعيه في ترتيب الأحداث، يبقى الكتاب مرجعًا مهمًا للباحثين في هذه الحقبة.

4-كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/1312م) يعد من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ دولة الموحدين. خاصة الجزء الرابع من الكتاب الذي يتناول تاريخ الدولة الموحدية بشكل مفصل، حيث يقدم صورة واضحة ودقيقة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة. يعتبر هذا الكتاب مصدرًا مهمًا نظرًا للمعلومات القيمة التي يقدمها حول أحداث تلك الحقبة وأثر الموحدين على منطقة المغرب والأندلس.

5-كتاب "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلف أندلسي يعرض معلومات قيمة حول سقوط دولة المرابطين وظهور دولة الموحدين في المغرب.

6-كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ / 1405 م) يُعد من أهم المصادر التاريخية التي يجب أن يعتمد عليها أي باحث في دراسة تاريخ الدولة الموحدية. قدم ابن خلدون في هذا الكتاب معلومات غزيرة وموثقة حول تاريخ العرب والعجم والبربر، بالإضافة إلى تفاصيل دقيقة عن أحداث الدولة الموحدية، بما في ذلك كيفية توسعها وضم مناطق غرب الجزائر وأهم ولاياتها مثل تلمسان، وكيفية تنظيم جباية الأموال في تلك الفترة، وذلك في الأجزاء 6-8 من الكتاب.

أهم المراجع:

استندنا لإنجاز هذا العمل على مجموعة كبيرة من المراجع التي تضاهي قيمتها العلمية قيمة المصادر، ونذكر منها:

1- كتاب "تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت "للدكتور عبد المجيد النجار يُعدّ دراسة تحليلية مختصرة لحركة الموحدين في بداياتها، من خلال شخصية مؤسسها ابن تومرت .يركز المؤلف على البعد الإصلاحي في دعوة ابن تومرت، من حيث العقيدة والمنهج السياسي والاجتماعي، مبينًا كيف وظّف مفاهيم مثل العصمة والمهدوية لبناء مشروعية قيادته، إلى جانب اعتماده على التعبئة الدينية والعنف المنظّم لإقامة دولة جديدة. الكتاب يقدم رؤية فكرية متماسكة لتجربة الموحدين، ويُعد من أبرز المراجع المعاصرة في هذا الموضوع.

2-كتاب"حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر" هو مؤلف تاريخي من تأليف المؤرخ الفرنسي روجي لي تورنو يقدم الكتاب دراسة شاملة لحركة الموحدين، بدءًا من نشأتها في صيف 1121م بقيادة المهدي بن تومرت، مرورًا بتأسيس الدولة الموحدية وتوسعها، وصولًا إلى انهيارها في أواخر القرن الثالث عشر .يعتمد المؤلف على مصادر تاريخية متنوعة، بما في ذلك المصادر العربية، لتقديم تحليل مفصل للأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة خلال هذه الفترة.

3-كتاب"دولة الإسلام في الأندلس" للمؤرخ المصري محمد عبد الله عنان هو موسوعة تاريخية ضخمة تتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوطها، مرورًا بعصور الخلافة الأموية، ودول الطوائف، والمرابطين، والموحدين، وصولًا إلى نهاية الدولة الإسلامية في الأندلس.

4-دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس" لعنان محمد عبد الله يُعتبر هذا الكتاب مصدرًا مهمًا لفهم التفاعلات السياسية والثقافية بين المغرب والأندلس في فترة تاريخية حاسمة. يساهم الكتاب في تسليط الضوء على دور المرابطين والموحدين في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس والمغرب، مع إظهار مدى تأثير الفترات المختلفة على توجيه السياسة الإقليمية والعلاقات بين الدول.

كأي بحث في طور الانجاز لا شك أنه أثناء تحضيره يصطدم كل باحث بالكثير من العقبات، فهذا الموضوع متداخل في العديد من نقاطه ولا توجد دراسات متخصصة فيه وهو ما تطلب منا جهدا وصبرا أثناء جمع مادته المتناثرة ومعالجتها، كما تختلف المعلومات باختلاف المصادر، إذ نجد تفاوتًا بين المؤرخين المتزامنين مع ابن تومرت والمؤرخين بعده، مما يصعّب التحقق من الوقائع بدقة. تداخل المشروع العقدي لابن تومرت مع طموحه السياسي يجعل من الصعب عزل العقيدة عن الاستراتيجية، وهو ما يتطلب جهدًا تحليليًا دقيقًا. التباين الكبير بين من قدّس شخصية ابن تومرت وعدّه مجددًا، ومن جرّمه واعتبره منحرفًا، يضع الباحث أمام معضلة الموازنة والموضوعية في الحكم التاريخي.

الفصل الأول:

عصر وشخصية ابن تومرت

أولا: الأوضاع في المغرب الإسلامي قبيل ابن تومرت

1-الوضع السياسي

2-الوضع الاجتماعي

3-الوضع الثقافي

ثانيا: ترجمة المهدي ابن تومرت

1-اسمه ونسبه

2-مولده ونشأته

3-شخصيته

4-رحلاته العلمية وتكوينه الفكر

اولا: الأوضاع في المغرب قبيل ابن تومرت

تعد علاقة الإنسان بالبيئة بما تتضمنه من تأثير وتأثر، عنصرا أساسيا لفهم التاريخ لذلك من الضروري دراسة البيئة التي نشأ فيها ابن تومرت. حيث إن فهم هذه البيئة، يساهم في اكتشاف جوانب شخصيته وأفكار حركاته وأعماله. لذلك لابد من أن نتوقف عند هذا السياق البيئي لفهم أحداث تلك الفترة، وكيف أثرت في تكوين المهدي ابن تومرت.

1-الوضع السياسي

تربع المرابطون على كرسي الحكم قرابة قرن من (448 هـ-541هـ) و(1056م - 1147م). [1] حيث كانت عقيدة على الطريقة السلفية والشريعة على المذهب المالكي[2].

بدأت الدولة المرابطية قوية، مستندة إلى دعوة إصلاحية أطلقها عبد الله بن ياسين الجازولي[3]، وقامت على أسس دينية متينة. حيث دخل عبد الله بن ياسين الصحراء مع الأمير يحيى بن إبراهيم، ونزل أولاً بقبيلة لمتونة، حيث قدمه الأمير للناس قائلاً: "هذا حامل سنة رسول الله"، فاستُقبلوا بحفاوة.وجد ابن ياسين أن أكثر الملثمين لا يصلون ولا يعرفون الإسلام إلا اسمه، وقد انحرفوا عن العقيدة الصحيحة وتدهورت أخلاقهم، مما دفعه إلى تعليمهم القرآن والسنة[4].

---

[1]عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن فيرجينيا،الولايات المتحدة الأمريكية، 1997،ص 48 بتصرف

[2]نفسه، ص48

[3]**عبد الله بن ياسين:** هو عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي درس على يد الفقيه وكاك بنزل اللمطي اصطحبه معه الامير يحيى بن ابراهيم الجدالي عام 430 هجري 1038 ميلادي الى ديار جدال لإصلاح حال الاسلامي بها وبعد معاناه كبيره مع اهلها تمكن من تأسيس دولة المرابطين ويعتبر الزعيم الروحي للمرابطين. ينظر: علي بن زرع الفاسي الأنيس المطرب برود القرطاس في اخبار ملوك الغربي وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص 124

[4]علي بن زرع الفاسي الأنيس المطرب ، المصدر السابق، ص 124

وقد بلغت الدولة المرابطية أوج قوتها في عهد يوسف بن تاشفين[1]، الذي تُعدّ معركة الزلاقة[2] أبرز إنجازاته، إذ أظهرت تفوق الدولة المرابطية عسكريًا وسياسيًا ودينيًا.

غير أن وفاة يوسف بن تاشفين شكّلت نقطة تحول في مسار الدولة، حيث بدأ الضعف يتسلل إلى بنيتها. حيث بلغ نفوذ الفقهاء في عصر علي بن يوسف بن تاشفين أوجه في شتى المجالات. على سبيل المثال في مجال القضاء حيث لا يتخذ قرارا او ينفذ حكما إلا بحضور أربعة من الفقهاء.[3] بل اشتد ايثار الأمراء المرابطين لأهل الفقه والدين وكانت كل الامور والاحكام كلها راجعة إلى الفقهاء.[4]

كما شهدت فترة حكم علي بن يوسف انغماس الفقهاء في الشهوات وانسياقهم وراء شهواتهم.[5] لقوله تعالى:﴿ **وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [6]

وقد كان للمرأة المرابطية دور سياسي مؤثر في أمور الحكم ويظهر ذلك في دور الجارية قمر زوجة علي بن يوسف. التي أقنعت الأمير علي بن يوسف بتولية ابنها "سير" ولاية العهد، مما أثار غضب الابن الأكبر "أبو بكر"، فقام الأمير بعزله ونفيه وهذا ما اقر سلبا على الدولة المرابطية.

---

[1] **يوسف بن تاشفين** : هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين و ملك الملثمين المرابطين، و هو الذي اختط مدينة مراكش، قام بتوحيد المغرب و الأندلس تحت الحكم المرابطي، توفي سنة (455هـ). ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس د ط مج،4 دار صادر، بيروت، 1997 ص112-125

[2] **معركة الزلاقة:** سهل بالأندلس يقع شمالي بطليموس جرت فيه معركة بين جيوش المسلمين من المرابطين والأندلسيين بقيادة يوسف بن تاشفين وجيوش النصارى بقيادة ألفونسو السادس سنه 479 هـ 1086 م. ينظر: مؤلف أندلسي من القرن الثامن هجري، الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الرباط، ط1، 1399هـ/1979م، ص56

[3] شوقي أبو خليل، كتاب معركة الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، الطبعة 2، 1993، ص78.

[4] الفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3 ،1987، بيروت لبنان،ص240.

[5] علي محمد الصلابي، دولتي المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا، دار المعرفة، بيروت لبنان،ص 233.

[6] الإسراء 16.

عيّن علي بن يوسف ابنه "تاشفين" واليًا على الأندلس، فحقق نجاحات لافتة، مما أثار غيرة قمر وابنها سير، فحرّضا الأمير على عزله، حتى صار تاشفين مجرد تابع في بلاط أخيه سير، رغم كفاءته. وبعد وفاة سير في حادث مؤلم، حاولت قمر دفع الأمير إلى تولية ابنها بالتبني "إسحاق"[1]، لكن صغر سنه جعل الناس يصرون على مبايعة تاشفين.رغم ذلك، استمرت قمر بمحاولاتها لخلع تاشفين، مستغلة إخفاقاته في مواجهة الموحدين، لكنها لم تفلح بسبب تطورات الأحداث العسكرية.

بعد أن استدعى الأمير تاشفين بن علي عددًا كبيرًا من القوات من الأندلس إلى المغرب لمواجهة حركة الموحدين، اضطربت الأوضاع في الأندلس وهو ما أضعف جبهة الأندلس وخلاها من الحماة والسلاح، مما جعل أهلها يرون في المرابطين تقصيرًا واستهانة بهم.[2] كما أشار إلى ذلك صاحب "الحلل" بقوله: "**وكان أعظم ما تأيد به عبد المؤمن على المرابطين قيام أهل الأندلس عليه، لكونهم أخلَوها من حماتها وأسلحتها**[3]."

كما تعتبر ثورات غربي الأندلس أول الثورات على المرابطين وقد تزعمها أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، وهذا الأخير أصبح في وقت قصير شيخا من شيوخ الصوفية وقد عرف أتباعه في غربي الأندلس باسم المريدين.[4]

يُعتبر تسامح أمراء المرابطين، بل وتهاونهم أحيانًا في التعامل مع مثيري الشغب والمخلّين بأمن الدولة، من الأسباب التي أضعفت هيبة حكمهم. فقد عُرف عن المرابطين أنهم نادرًا ما أصدروا أحكامًا بالإعدام، حتى ضد من تمرّد أو أثار الفوضى، وكان أقصى ما يُنزل بهم هو الاعتقال الطويل.

ويظهر هذا التهاون بوضوح في طريقة تعاملهم مع أهل غرناطة عندما ثاروا على القائد الكبير "مزدلي"، الذي كان يُعد نموذجًا رائعًا للمحارب الشجاع، إذ قضى حياته في ساحات المعارك، وقدم

[1] ابي العباس أحمد ابن محمد ابن عذارى، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح بشار عواد معروف محمد بشار عواد، مج3، دار الغرب الإسلامي،تونس،2013،ص71

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ:546هـ /1116م: 1151م ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان طبعه واحد1988 م /هـ1408ص34

[3] مجهول، الحلل الموشية،ص23

[4] مغنية غرادين،ثورة المريدين بغربي الأندلس، جامعة تلمسان، ص171

روحه ثمناً لشجاعته وبسالته.ورغم كل ذلك، فإن رد أمير المسلمين على هذه الحادثة كان مجرد إصدار رسالة موجهة إلى أهل غرناطة، تضمنت تهديدًا خفيفًا، جاء فيها:

"فإذا وصل إليكم خطابُنا هذا، فاتركوا سابق الهوى، واسلكوا معه الطريق المثلى، وضعوا التنافس على حُطام الدنيا، وليُقبل كل واحد منكم على ما يعنيه، ولا يشتغل بما يُنصبه ويعينه."[1]

وهذا الخطاب يُظهر التسامح، لكنه في الوقت ذاته يكشف غياب الحزم، وهو ما ساهم في تجرؤ الرعية على السلطة وازدياد الاضطراب الداخلي.

2-الوضع الاجتماعي:

من الواضح أن الدولة المرابطية رغم تحقيقها للوحدة السياسية على أساس الفقه المالكي لم يترجم ذلك الى واقع اجتماعي يعكس بشكل كامل القيم الدينية المتعلقة بالعدل ومكارم الاخلاق.[2]

عندما قام يوسف بن تاشفين بتوحيد المغرب والأندلس تحت راية الدولة المرابطية، ترتب على هذا التوحيد عدد من الآثار السلبية التي انعكست على المجتمع المغربي. فقد كان الطابع الغالب على المجتمع المغربي آنذاك هو البداوة، بخلاف المجتمع الأندلسي الذي اتسم بالتحضر والرقي في العمران الثقافة وحتى التحرر.

ومع توحد القطرين، بدأ التأثير الأندلسي ينتقل إلى مدن المغرب الكبرى، مثل مراكش، فظهرت فيها مظاهر التحضر العمراني والثقافي. غير أن هذا الانتقال لم يكن محصورًا في الإيجابيات فقط، بل صاحبه أيضًا تسرب لمظاهر اللهو والمجون والفسوق، وسلوكيات دخيلة على المجتمع المغربي المحافظ.

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق ص35

[2] عبد المجيد النجار،نفسه،ص 48.

وقد شكل هذا التغير صدمة اجتماعية، خاصة وأن حكام الدولة، كيوسف بن تاشفين وابنه علي، عُرفوا بالتقوى والورع، فكان التناقض واضحًا بين سلوك القيادة ونمط حياة بعض شرائح المجتمع في المدن الكبرى بعد هذا التوحيد[1].

حيث يقول مونتغمري وات:".....لم يبقى سلطان هذه الدولة البربرية طويلا في اوجه فقد امتلأ القواد وغيرهم من الضباط والرجال اعجابا بحضارة الاندلس وترفيها المادي الذي فاق كثيرا ما عرفته مدن شمال افريقيا وبخاصة ما عرفه سهم المجاور لها الذي قدموا منه في الأصل اذ لم يكن هذا الاعجاب ادى الى فساد اخلاقي فانه على الاقل ادى الى اضعاف المتانة الخلقية...."[2]

ومع انتقال الحكم إلى علي بن يوسف، ازداد الوضع تعقيدًا نتيجة التشدد المفرط لفقهاء المرابطين، خاصة فقهاء المالكية، الذين استغلوا نفوذهم لجمع المال وعيش حياة الترف، مما أثار استياء العامة وأضعف هيبة الدولة، ومهّد الطريق لظهور دعوات إصلاحية مناهضة، كان أبرزها دعوة ابن تومرت.

فيذكر المراكشي ذلك في كتابه المعجب ويقول: " **و لم يزل الفقهاء على ذلك، و أمور المسلمين راجعة إليهم، و أحكامهم صغيرها و كبيرها موقوفة عليهم، طول مدته، فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، و انصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، و اتسعت مكاسبهم** "[3]

وصوره الشعراء في شعرهم حيث قال أبو جعفر احمد بن محمد المعروف بابن البني:

أَهْلَ الرِّياءِ لَبِسْتُمُ نَامُوسَكُمْ كَالذِّئْبِ أَدْلَجَ فِي الظَّلَامِ العَاتِمِ

فَمَلَكْتُمُ الدُّنْيَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَقَسَمْتُمُ الأَمْوَالَ بِابْنِ القَاسِمِ

[1] ابن ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص 163 -164

[2] مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الاسلامية مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا، تر محمد رضا،ط2 شركه المطبوعات لبنان 1998 ص 111

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ضبطه وعلق حواشيه وانشا مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي، ط 1،مطبعة الاستقامة القاهرة، 1368 هـ 1949م ص171

وَرَكِبْتُمُو شُهْبَ الدَّوَابِّ بِأَشْهَبٍ وَبِأَصْبَغٍ صُبِغَتْ لَكُمْ فِي العَالَمِ

ظهور السفور والاختلاط بين الرجال والنساء خاصة آخر عهد لعلي بن يوسف.[1] حيث لم تكن النساء بمعزل عن مظاهر الفساد التي عصفت بالدولة المرابطية في أواخر عهدها، بل كان لهن نصيب وافر منها. وقد عرف عن المرأة المرابطية أنها تخرج سافرة لا تضع لثاما على وجهها واذ كان هذا الامر يبدو غريبا في المجتمع المغربي.[2]دور زينب النفزاوية السياسي والحضاري آنذاك فوصفت المصادر زواجها من أمير المرابطين ابن تاشفين بأنها "**وكانت عنوان سعده، والقائمة بمُكله، والمدَبِّرة لأمره، والفاتِحة عليه بحُسن سياسَتها لأكثر بلاد المغرب**"[3]

يقول المراكشي:" **وأستولت النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل، وصاحب خمر وماخور وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزيد تغافله ويقوى ضعفه**"[4]

ومع هذا النفوذ غير المنضبط، تفشّت الآفات الاجتماعية في المجتمع، وازداد انتشار الخمر والمجون، وفسدت الأخلاق، وابتعد الناس عن القيم الدينية التي قامت عليها الدولة في بداياتها.

أما أمير المسلمين، فقد تراجع دوره، وازداد ضعفه، حتى ضاعت من يده زمام الأمور، واكتفى بلقب "أمير المسلمين" دون القيام بمسؤولياته تجاه الرعية، فتُركت شؤون الحكم في يد غير المؤهلين، وتجاهل أمور الدين والرعية على حد سواء، مما سرّع من انهيار الدولة وانحلال سلطتها.[5]

[1] علي الصلابي،المرجع السابق، ص233.

[2] عصمت دندش، المرجع السابق، ص316

[3] أبو العباس خالد بن أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفري الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1904، ج2، ص21

[4] المراكشي، المصدر السابق، ص 177.

[5] نفسه، ص 177.

3-الوضع الثقافي:

شهدت المنطقة المغاربية خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي حالة من الفوضى الدينية والثقافية، حيث غلب الجهل بأصول الشريعة بين عامة الناس، وانتشرت البدع والانحرافات العقائدية، حتى أصبح كثير منهم لا يعرفون من الإسلام سوى اسمه، مع تفشي الفساد الأخلاقي وضعف الالتزام الديني[1].

وزاد من تفاقم الوضع استغلال بعض الزعماء الدين لتحقيق مصالحهم القبلية والسياسية، مما أدى الى تفكك المجتمع وغياب سلطة دينية موحدة توجه الناس. في هذا المناخ المضطرب، برز دور عبد الله بن ياسين، الذي حمل على عاتقه مهمة إحياء الدين قبائل الصحراء. عمل على تعليم القرآن والسنة، وتصحيح العقيدة، وإصلاح السلوك، رغم ما واجهه من مقاومة شديدة من بعض الزعامات القبلية. وقد كانت جهوده حجر الأساس في تأسيس حركة المرابطين، التي لعبت دورًا محوريًا في إعادة الانضباط الديني والاجتماعي إلى المنطقة[2].

تبنت الدعوة المرابطية المذهب المالكي لمجابهة الفكر الشيعي والوثني والجبلي المنتشر في مناطق مصامدة[3] وبرغواطة[4]. وقد حرس الأمراء على الحفاظ على وحدة بلاد المغرب بالحفاظ على الوحدة

---

[1]علي الصلابي، المرجع السابق، ص51

[2]علي الصلابي، المرجع السابق، ص51

[3]**مصامدة**: البربرية البرنسية التي تضم عددا لا يحصى من البطون والفروع اهمها هرغة، جدميوة جنفيسة، هنتاتة، مزمير، هيلانة وهزرجة، سميت مجموعها بقبائل المصامدة حيث احتسموا بجبل درن من بلاد المغرب الاقصى وعلى عصبيتها قامت الدولة الموحدية شارك رجال هذه البطون والفروع في الدعوة الموحدية منذ البداية وكانت لهم مناصب قياديه في الدولة. ينظر: ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، طبعة دار الكتاب اللبناني،بيروت، لبنان، 1971، ص 461

[4]**برغواطة**: هي أرض تبدأ من موضع مدينة الرباط حاليا. وتمتد إلى تفر فضالة المحمدية الآن التي كانت قاعدة لأسطولها عند أزمور على مصب وادي أم الربيع، ينظر: إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب 127هـ 542هـ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الملغرب، ط، 1999م، ص8

المذهبية لأن السماح بتداول العلوم العقلية يؤدي الى تفكك الوحدة، لذلك لم يعرف المغرب تنوعا مذهبيا في الفكر العقدي والشرعي كما شهدته المشرق.[1]

ما تلقاه المغاربة هي العقيدة السلفية والمذهب المالكي في الفقه.[2] وازداد الأمر حتى أصبح النظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مهملا، فلم يكن أحد من كبار العلماء من ذلك العصر يوليها العناية اللازمة. كما أن الفقهاء أصبحوا يتابعون فكرة تكفير كل من يتطرق إلى علم الكلام وأقر تقبيحه مؤكدين كراهية السلف له وابتعادهم عنه إذ ظهر فيه شيء منه واعتبره بدعة واكتفوا بالصور.[3]

على نحو ما قرره مالك بن أنس بقوله: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ".[4]

حيث شددوا ونبذوا في الخوض في شيء من علم الكلام ويظهر ذلك بأمر أمير المسلمين بإحراق كتاب أبي حامد الغزالي. حيث حاول أبي حامد الغزالي أن يصف من يحق له الكلام ومن ينبغي له أن يجمع عنه غير أن دعوته لم تجد استحسانا عند الحنابلة.[5]

فهجرت بذلك دراسة الأصول في الدين والشريعة خاصة علم الحديث التي كانت مذمومة في المغرب واهتموا فقط بدراسة الفروع وتشمل القانون المدني والعبادات بحسب مذهب مالك واما الفقه فقد اقتصر على القالب الثابت ومنع الاجتهاد.[6]

---

[1]عبد الرحمن بلاغ، الحركة السياسية والفكرية في المغرب الأوسط خلال العصر الموحدي، موجهة للثانية ماستر، تخصص حضارة المغرب الإسلامي، جامعة طاهري محمد بشار، 2018، ص7.

[2]عبد المجيد النجار،تجربة الإصلاح، ص51

[3]الفريد بيل الفرق الإسلامية، ص240

[4]عبد القادر ربوح، منهج الإصلاح ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، عدد 9 سبتمبر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2018، ص61.

[5]ابراهيم ارحومه سالم امهيري، محمد بن تومرت وآرائه الفكرية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، في علم التفسير بجامعة سبها ، ليبيا، ص 25

[6]الفرد بيل،الفرق الإسلامية،ص241.

عاش المغرب حركة من الجمود والتقليد جعل الناس يتيهون في الفروع ويبدو لنا أن العقل لم ينال منزلته المتقدمة في المغرب إلا في العصر الموحدي على يد محمد بن تومرت، الذي عايش الحالة الفكرية في المغرب والمشرق. فقد كان الوضع الفكري في المغرب خاليا من الاجتهاد والكشف.[1]

ثانيا: ترجمة المهدي ابن تومرت

1-اسمه ونسبه:

هو الفقيه محمد بن عبد الله[2]، الهرعي المصمودي البربري المدعي أنه علوي حسني والملقب بالإمام المعصوم مهدي الموحدين[3]. يكنى بتومرت. كما كان يُلقب في صغره بـ "أمغار" [4]وهو لقب بربري قديم يُشير إلى شخص يتمتع بالحكمة والاحترام. قد يكون هذا اللقب مرتبطًا بعلاقته العميقة بالمجتمع المحلي ودوره البارز في توجيه الناس وتعليمهم، خاصة في مجال الدين والعلم.

أما لقب "تومرت"، فقد أطلقته عليه والدته تعبيرًا عن فرحتها بمولودها. فقد كانت تردد عبارة باللهجة البربرية: آتومرت ايسك آييو ، و تعني "يافرحتي بك يا بُني"، وكانت تكررها كثيرًا، مما أدى إلى ارتباط هذا اللقب به.[5] ومن ثم عرفه التاريخ باسمه الذائع وهو محمد بن تومرت[1]. وقد ذكر ابن

[1]إبراهيم ارحومة،المرجع السابق،ص26

[2]علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 172.

[3] الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر،ج2، تح: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1405، ص421.

[4]عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 225.

[5]أسامة عبد الحميد حسين السامرائي، دولة الموحدين تأسيسها- ثورتها -تنظيماتها- عقيدتها، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان ،1971،44.

القطان أنه كان يُلقب في صغره، حينما كان يدرس في المكتب، بلقب "أسفوا"، وهو اسم بربري يعني الضياء"، وذلك بسبب ملازمته لإضاءة القنديل في المسجد للقراءة والصلاة[2].

و يتفق المؤرخون الذين تناولوا سيرة ابن تومرت على أن أصله يعود إلى قبيلة هرغة[3]، وهي إحدى بطون القبيلة الأمازيغية الكبرى مصمودة، وهم قوم يعرفون بايسرغينن وهم الشرفاء بلسان المصامدة[4].غير أنهم اختلفوا حول مدى نقاء نسبه، فهناك من رفع نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب وهذا ما أكده ابو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق في قوله: " هو محمد بن عبد الله بن وكلِّيد بن يامصال، بن حمزة، بن عيسا بن عبيد الله، بن إدريس بن عبدالله، بن حسن، بن الحسن، بن فاطمة بنت رسول الله.[5]"

وهناك نسب آخر عربي يرجعه إلى آل البيت على النحو الآتي:" هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هوذ بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحي بن رباح بن عطاء بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم" وهذا ما أورده جل المؤرخين الذين ذكروا نسب ابن تومرت[6]. في المقابل، هناك من يعتبر أن نسبه بربري مثلما ذكر بعض مؤرخي المغرب على أنه محمد بن نيطاوس بن ساولا بن سفيون بن الكلديس بن خالد".[7]

---

[1]محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب الأندلس، مطبعة المدني، القاهرة،ط2، 1411هـ/1990م، ص159.

[2] ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ماسلف من اخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، د.ت ، ص ص 89. 90.

[3]**قبيلة هرغة:** تمتد هذه المنطقة جنوب مدينة مراكش عند السفح الشمالي لجبال الاطلس ويقال اسمها الحقيقي ارغن ثم حرف إلى هرغة، من أكبر قبائل البربر المغربية. ينظر: أسامة عبد الحميد السامرائي، المرجع السابق، ص40.

[4]محمد بن تومرت، اعز مايطلب، تق وتح: عمار الطالبي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1903م، ص 3.

[5] أبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق، كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط1971، ص 12.

[6]اينظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص 87، ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج5 ص 45. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص172. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، ص3، ابن خلدون، العبر، ص 226. البيذق، كتاب الانساب، المصدر السابق، ص13. م مؤلف جهول، الحلل الموشية، ص103.

[7]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص225.

وعلى الرغم من أن ابن تومرت وأتباعه الموحدين أصروا على أنه عربي من نسل قريش ومن صلب الرسول ﷺ، فإن بعض الباحثين يرون أنه اختلق هذا النسب لخدمة دعوته إلى المهديّة، كما فعل غيره من مدّعي المهدوية، وذلك بهدف كسب الشرعية الدينية والاعتماد على الأحاديث التي تؤكد أن المهدي لا يكون إلا من آل البيت. وفقًا لهذا الرأي، فإن قضية المهدوية كانت الدافع الأساسي وراء ادعائه هذا النسب[1].

2-مولده ونشأته:

ولد المهدي في قرية تُدعى "إيجلي أن وارغن بمنطقة سوس جنوب المغرب الأقصى[2]. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاده، حيث ذكروا تواريخ تتراوح من عام 470هجري /1077م وعام 490هـ/1097م[3].حيث يرى ابن الأثير ان ابن تومرت توفي في عام 524هـ/1129م ، مما يجعل تاريخ ميلاده في عام 471هـ/1078م او 474هـ/ 1082م [4].

ويقول الزركشي نقلا عن ابن خلكان انه ولد سنة 484هـ/1091م [5]. وقد عاد الدكتور عبد المجيد النجار إلى تاريخ الميلاد بشكل أكثر دقة، حيث أفاد بأنه وُلد في سنة 473 هجريً/

[1]عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق ،. ص27

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 178.

[3]روجي لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس1982، ص ص 13 14.

[4]ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8 ، تحق: محمود يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1998،ص296.

[5]الزركشي ابي عيد الله محمد بن ابراهيم ، تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية، تح وتع: محمدماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ط2، ص 4.

1080م[1] . أما هويتي ميرندا أمكننا افتراض أن تاريخ ميلاده كان قريبا من عام 471هـ –474 هـ /1080هـ.[2]

نشأ محمد بن تومرت في مدينة جبلية معروفة بأوضاعها الاقتصادية[3]، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، لم تكن بارزة من حيث الجاه أو الثروة، لكنها كانت ذات مكانة دينية وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله:"كان أهل بيته أهل نسك ورباط[4]." اشارة الى التقوى والزهد[5].

وكان لمحمد بن تومرت عدد من الإخوة الذين اكتسبوا شهرة بعد وفاته، ومن أبرزهم: أبو موسى عيسى وأبو محمد عبد العزيز، اللذان قادا ثورة ضد عبد المؤمن بن علي[6]، لكن محاولتهما باءت بالفشل وانتهت بمقتلهما. كما كان له أخ آخر يُدعى أبو العباس أحمد الكفيف. بالإضافة إلى ذلك، كانت له أخت تُدعى زين والتي كانت تشتغل بغزل الصوف وهي التي كانت تمنحه النقود لتغطية مصاريف حياته البسيطة[7]. وكان ابنا لأحد صغار رؤساء القرية[8].

[1]علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي–دولة الموحدين، ج5، دار البيارق للنشر، عمان 1998 ص09.

[2]هويشي ميرندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكمير،منشورات الزمن، الرباط 2004، ط01، ص 31.

[3]أسامة عبد الحميد حسين السامرائي، المرجع السابق، ص43

[4]ابن خلدون، المصدر السابق، ص226.

[5]علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 9.

[6] عبد المؤمن بن علي ابن علوي : سلطان المغرب الذي يلقب بأمير المؤمنين الكومي القيسي ، المغربي .ولد بتلمسان . وكان أبوه يصنع الفخار .قيل : إنه قال –أعني عبد المؤمن – : إنما نحن من قيس غيلان بن مضر بن نزار ، ولكومية علينا حق الولادة ، والمنشأ فيهم ، وهم أخوالي. ينظر: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1984م، ط 01، ص 366.

[7]أمبريسيو هويتي ميراندا، المرجع السابق ، ص30.

[8]روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 11، 12.

وأمه تسمى بأم الحسين[1]. ووالداه من أهل السوس وكان أبوه رجلا فقيرا وأمه من قوم يعرفون ببني يوسف من مسكالة الواقعة في السوس ، وبنو يوسف هم أخواله، ومولده بموضع يسمى " نومكران" وهو موضع لا ماء فيه وانما يشرب أهله من ماء المطر، وهناك كانت دار أسرته.[2]

3- ملامح شخصيته:

كان ابن تومرت كهلا اسمر، عظيم الهامة، متوسط القامة، حاد النظر، مهابا، طويل الصمت، حسن الخشوع والسَّمْت وقبره مشهور معظم. ولم يملك شيئا من المدائن، انما مهد الامور وقرر القواعد فبلغته الموت. وكانت الفتوحات والممالك لعبد المؤمن[3]

يقول ابن زرع ان المهدي: "كان حسن القَدّ، أسمر اللون، رقيق البشرة، أفلج الأسنان، أقنا، غائر العينين، خفيف العارضين، وله شامة سوداء على خده الأيمن. كان ذا سياسة ودهاء ومكر عظيم، ومع ذلك، كان عالمِا فقيهًا."[4] ونجد عند ابن القطان اقدم وصف ورد في المصادر التاريخية حيث يقول: ربعة ، مفلج الثنايا، قليل اللحية ، يوجد في خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم ، حصور لا يأتي النساء ".[5]

امتاز بفصاحة في العربية والبربرية، إلى جانب ملكة خطابية متميزة. نشأ على الطهارة والزهد منذ طفولته، حتى أنه أنكر على الناس تهاونهم في أداء واجبات الشريعة. كان ورعًا، متقشفًا، متمسكًا بالزهد، كثير التأمل، بشوشًا في وجوه الناس، مقبلًا على العبادة، ولم يكن يحمل من متاع الدنيا سوى عصا وركوة[6]. عاقلا عميق الفكر بعيد الغور، فصيحا لذته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد. ولكن جره إقدامه وجرأته إلى حب الرئاسة والظهور، وارتكاب المحظور. [7]

---

[1] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص 36.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 158 159.

[3] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ص423

[4] علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 181.

[5] ابن القطان، المصدر السابق، ص90.

[6] شوقي أبو خليل، الأرك بقيادة المنصور الموحدي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بدمشق، 1993 م، ط01، ص 13.

[7] الذهبي، العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ص421.

ويرجّح البعض أنه، رغم ما قيل عن زهد ابن تومرت وورعه، فقد غلبت عليه صفة القسوة والعنف، حيث انطوت شخصيته على نزوع جارف إلى التحطيم والقتل وإراقة الدماء دون رادع أو ضابط. وينسبون إليه ارتكاب مجازر أودت بحياة عدد كبير من معارضيه، بل وحتى بعض أتباعه الذين شُك في ولائهم. ومن أبرز تلك الأحداث موقعة "التمييز"، حيث قام بالتفريق بين المخلصين، فأبقاهم، وبين من اعتبرهم منافقين، فأهلكهم[1].

ويقول ليفي بروفنسال:" ان شخصية محمد بن تومرت هي شخصية تستهوي من حولها الى اقصى حد ونفس بسيطة ومعقدة في آن واحد وحالم الى شئنا ومصلح ديني الا انه سياسي بلغ الغاية في الالمعية والاخلاص يؤمن برسالته اماما ويقضي به الى الرغبة في تحقيقها بقوة ضاربة[2]

4 رحلاته العلمية وتكوينه الفكري:

بدأ المهدي دراسته الأولية في كتاتيب قريته[3]، حيث لزم المسجد منذ صغره وحفظ القرآن الكريم وهو لا يزال صغير السن. ثم رأى والده ضرورة تمكينه من مواصلة تحصيله العلمي، فأذن له بالرحلة إلى الأندلس والمشرق سنة 501 هـ/ 1107م، وهي رحلة استمرت حتى حدود سنة 514 هـ/ 1120م[4].

كانت الأندلس محطته الأولى[5]، وربما اختارها ليأخذ نصيبه من علومها المزدهرة، وينهل من معارف شيوخها البارزين. وقد عبر البحر ليستقر في قرطبة، التي كانت لا تزال تحتفظ بمكانتها العلمية الرفيعة في ظل دولة المرابطين[6]. هناك، تتلمذ على يد القاضي أبي جعفر حمدين بن محمد[1]، ويُرجّح

[1]عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح، المرجع السابق، ص 71.

[2]ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب و الأندلس، تر:محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1990، ص256 .

[3]عبد المجيد النجار، تجربة الاصلاح، المصدر السابق ،ص 57.

[4]حسن جلاب، الدولة الموحدية – أثر العقيدة في الادب، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1995، ط 03، ص 23

[5]ابن القطان، المصدر السابق، ص 62

[6]ابتسام علي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي، د.ط، دار المعارف، جامعة الاسكندرية 1405هـ-1985هـ، ص48.

بعض الباحثين أنه التقى بعدد من التيارات الفكرية والمذهبية، خاصة المدرسة الحزمية في الفقه والعقيدة، والتي يُعتقد أنه تأثر بها.

غير أن مقامه في الأندلس لم يدم طويلاً[2]. ومنها، شدّ الرحال إلى مدينة المهدية، حيث واصل طلب العلم وتتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله المازني[3]، أحد أعلام الفقه في عصره." ثم توجه الى الديار المصرية وحل بالإسكندرية وهو ابن الثمانية عشر[4] وتلقى دروسا واخذ علما من الشيخ ابي بكر الطرطوشي[5] الذي كان مبرزا في الفقه متبحرا في السياسة الشرعية التي ألف فيها كتاب سراج الملوك كما كان داعيا الى السنه ثائرا على البدعة . ولم يمكث في مصر حيث فضل الذهاب الى الحجاز لحج البيت واداء الفريضة.[6]

ثم واصل المهدي رحلته العلمية نحو المشرق، حتى بلغ بغداد، حاضرة العلم ومهوى أفئدة الطلبة والعلماء. وهناك تعمّق في دراسة الفقه وأصوله على يد الإمام أبي بكر الشاشي، الملقب بفخر

---

[1] أبي جعفر حمدين: هو احمد بن احمد التغلبي دخل الاندلس ولي القضاء بعد أخيه بقرطبة سنة 529هـ،، وعزله علي بن يوسف فثارت العامة لقرطبة فاضطر أبو جعفر للخروج لردع العامة. توفي بمالقة في سنة 546هـ ودفن بقبلي مسجدها. ينظر: لسان لسان الدين بن الخطيب، كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان1956،ط2، ص ص 252 254.

[2]عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص 67

[3]**الامام المازري** هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المشهور بالإمام المازري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالإمام أصله من مازر مدينة في جزيرة صقلية على ساحل البحر وإليها نسب جماعة منهم ابو عبد الله فا يعرف بغير الإمام المازري ينظر:ابن فرحون برهان الدين، الديباج المذهب لمعرفة أعيان علماء المذهب، ج2 ، تحقيق: علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية، الرياض 1423هـ/2003م، ط01، ص 221.

[4]الزركشي ، المصدر السابق، ص4

[5]**ابي بكر الطرطوشي** هو الفقيه ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان بن ايوب الفهري الطرطوشي الاندلسي نزيل الإسكندرية المعروف بابن ابي رندقة ولد في بلدة طرطوشة بالأندلس سنة 451 هـ حيث تلقى علومه ثم رحل الى المشرق سنة 486. توفي سنة 520 أو 552 هـ. ينظر: عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية 1986، ص ص 222 223.

[6] علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي-دولة الموحدين، المرجع السابق، ص11.

الإسلام، كما تلقى علوم الحديث على يد المبارك بن عبد الجبار[1] وعدد من المحدثين الآخرين، مما أثرى رصيده العلمي وفتح له آفاقًا جديدة في الفهم والاستنباط[2] .

وتذكر بعض الروايات أن ابن تومرت التقى الإمام الغزالي[3] ودرس عليه في بغداد، وقيل إنه لقيه بالشام ايام تزهده[4]. وقد اختلف المؤرخون في مسألة هذا اللقاء، فهناك من أيّد وقوع اللقاء، كأبي زرع، الذي قال: "إنه لازم الغزالي ثلاث سنين.و بشره بأنه سيكون له شأن عظيم "[5].والزركشي في قوله: " انتقل إلى بغداد وأخذ عن الإمام الغزالي"[6]. بينما يلقي ابن خلدون ظلالا في الشك على حدوثه في قوله: " لقي فيما زعموا ابا حامد الغزالي.."[7] ونفس الأمر بالنسبة للمراكشي الذي يقول في كتابه:" وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام ايام تزهده"[8].بينما نفى بعض مؤرخي المغرب صحة هذا اللقاء كإبن الأثير حيث يقول:"الصحيح انه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى المغرب"[9]

وقد وردت رواية أخرى عن لقاء ابن تومرت بالإمام الغزالي، نقلها صاحب الحلل الموشية، جاء فيها: "إن محمد بن تومرت لما قدم على الإمام الغزالي، وأخبره أن فقهاء المرابطين أحرقوا كتاب

---

[1] **المبارك بن عبد الجبار**: هو أبو الحسين ابن الطيوري شيخ مشهور، قال السمعاني:" كان محدثا، مكثرا، صالحا أمينا صدوقا صحيح الأصول، دينا ورعا حسن السمت، كثير الكتابة والخير." توفي سنة 500هـ ببغداد. ينظر: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج6، ط1، دار البشائر الاسلامية، بيروت، لبنان 1423هـ/2002م. ص 452.

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص178.

[3] **أبي حامد الغزالي**: الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي ، الغزالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط .فبرع في الفقه في مدة قريبة ، ومهر في الكلام والجدل ، حتى صار عين المناظرين ، وأعاد للطلبة، ينظر: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق،ص322.

[4] محمد عبد الله عنان،المرجع السابق، ص 161.

[5] علي بن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 172،

[6] الزركشي، المصدر السابق، ص 4

[7] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 226.

[8] المراكشي، المصدر السابق، ص 178.

[9] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، تحق: محمود يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1998، ط3،ص294.

الإحياء الخاص به، دعا عليهم قائلاً: اللهم مزق ملكهم كما مزقوه، واذهب دولتهم كما أحرقوه. فقال ابن تومرت: أيها الإمام، ادعُ الله أن يكون ذلك على يدي[1].

ويؤكد التسلسل الكرونولوجي للأحداث ان اللقاء بين ابن تومرت والغزالي لم يحدث أصلا، لأن الإحراق الرسمي لكتاب احياء علوم الدين تم في سنة 503هـ / 1109م[2] ، والغزالي كان ببغداد مابين 484هـ/1091م و 488هـ /1095م وبعدها حل بينيسابور سنة 505 هـ/1111م[3]. ثم انتقل إلى مسقط رأسه طوس بخرسان إلى ان وافقته المنية في عام 509هـ/1115م. ولا يوجد أي إشارة في أي مصدر عن انتقال ابن تومرت إلى خرسان. وهذا يقر أن الأرجح هو عدم إلتقاء المهدي بالغزالي[4].

عاد ابن تومرت إلى وطنه من رحلته العلمية في مطلع سنة 515 هـ/ 1121م[5]، بعد أن قضى ما يقارب عشر سنوات في طلب العلم[6]، متأثرًا بالنظريات المشرقية في علوم الكلام والأصول والسنة[7]، كما تبنّى العديد من آراء الأشاعرة، وأُعجب بطريقتهم في الدفاع عن العقائد الدينية بالحجج العقلية، وفي تأويل النصوص المتشابهة. وبهذه الرحلة، يكون قد استكمل مرحلة التحصيل العلمي، فقد وصفه ابن خلدون بقوله: "عاد من المشرق بحرًا متفجّرًا من العلم، وشهابًا وارِيًا من الدين"[8]،

[1] مجهول، الحل الموشية ، المصدر السابق، ص 105.

[2] هويشي ميرندا، المرجع السابق، ص36.

[3] شرقي نوارة، الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين(524هـ - 667هـ)- (1129م- 1268م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر،2007م- 2008م ص 16.

[4] هويشي ميرندا، المرجع السابق، ص 37.

[5] البيذق أبي بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971، ص11

[6] شوقي ابو خليل، الارك بقيادة يعقوب المنصور، المرجع السابق، ص12.

[7] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص163.

[8] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص226.

وقد بلغ درجة عالية في علم الكلام والعلوم الشرعية، بعد أن اطّلع على مذاهب الفرق الفكريةالمختلفة من ظاهرية ومعتزلة وشيعة، وشارك في مناقشاتهم وندواتهم، وهو ما ساعد على تبلور أفكاره وتشكُّل رؤيته العقدية والفكرية[1].

وفي الأخير، يتبين لنا من خلال دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية التي سادت في المغرب الإسلامي قبل ابن تومرت، أن هذه الظروف كانت محورية في تكوين أفكاره وتوجهاته الإصلاحية. كما أن رحلاته العلمية وتنوع مصادره الفكرية ساعدت في تشكيل شخصيته الفريدة، التي أثرت بشكل كبير في الفكر الإسلامي والمغربي. هذه العوامل مجتمعة جعلت من ابن تومرت شخصية تاريخية محورية[2].

[1]عبد القادر ربوح، منهج الاصلاح ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط حركة المهدي بن تومرت نموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 09، جامعة المسيلة، سبتمبر 2018، ص 65.

[2]ينظر : الملحق 01 ص25

الفصل الثاني:

ابن تومرت بين الإصلاح والتغيير السياسي والعسكري

اولا: دعوته للإصلاح الديني

1- التركيز على محاربة البدع وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

2- ادعاءه للمهدوية

3- اعتقاد الإمامة والعصمة وجوب الطاعة .

ثانيا: الصراع العسكري لابن تومرت

1- تكفير المرابطين

2- المناوشات الأولى مع المرابطين

3- حصار مراكش

أولا: دعوته للإصلاح الديني

1-التركيز على محاربة البدع وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد أن أكمل ابن تومرت دراسته في المشرق، قرر العودة إلى وطنه في بلاد المغرب لنشر دعوته الإصلاحية المرتكزة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكانت أولى محطات دعوته في مكة، حيث واجه صعوبات مبكرة مع أهلها، الذين طالبوا بخروجه، ليجد نفسه في مستهل رحلته نحو مصر[1]، وهذا ما اشار اليه الذهبي: حيث قال" بدأ أولا في الإنكار بمكة فآذوه فقدم مصر..."[2] ، ويُرجَّح أنه مرّ بها سنة 511 هـ / 1117 م وفق بعض الروايات.

ومن الأرجح أن إقامته هناك لم تدم سوى بضعة أشهر، بسبب ملاحقته من قبل السلطات، ما دفعه للانتقال إلى الإسكندرية[3]. آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ثم اشتد الخلاف بين ابن تومرت وحاكم الإسكندرية بسبب تمسكه بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمر حاكم الإسكندرية بنفيه إلى بلاد المغرب[4].فغادرها على إحدى السفن المتجهة إلى المغرب.

إلا انه استمر يدعو إلى أفكاره الإصلاحية أثناء رحلته البحرية، فضاق به الركاب والمسافرون فألقوه في البحر فلبث أكثر من نصف يوم يسبح إلى جانبها دون أن يصيبه شيء، فلما رأوا ذلك نزلوا اليه لرفعه من الماء وقد عظم في نفوسهم، وبالغوا في اكرامه[5].

ولما وصل ابن تومرت إلى المهدية، نزل في مسجد مهجور يقع على الطريق، واتخذ مجلسه في طاق يطل على الطريق العام، يراقب المارة. وكان لا يرى منكراً من لهو أو أوانٍ مخصصة للخمر إلا وتدخل

[1]عدة الشيخ، مظاهر التركيز على أخطاء المرابطين في دعوة المهدي بن تومرت وأثرها في قيام دولة الموحدين، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 18، عدد01، جامعة الشلف، اوت 2022، ص 666.

[2]الذهبي، العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ص 421.

[3]عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص 86.

[4]علام عبد الله، المرجع السابق، ص 54.

[5]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 197.

لكسرها. وسرعان ما انتشر خبره بين أهل المدينة، فاجتمع الناس حوله، وأخذوا يستمعون إليه، حيث بدأ بتعليمهم أصول الدين وشرح مبادئه، ما أكسبه أتباعاً جددًا وعزز تأثيره في المنطقة[1].

بعد ذلك، انتقل ابن تومرت إلى بجاية، وكان حلوله بها في شهر رمضان المبارك [2]. فتفاجأ بالمظاهر الوثنية التي رآها حيث كانت ملابس النساء زاهية الألوان مترفة وكان بعض الرجال يرتدون ملابس نسائية وكان الجنسان يختلطان في الشوارع بمناسبة الاحتفالات الدينية وكان النبيذ يباع علنا.[3]فقام بالهجوم عليهم وبدا يضرب الجميع بالعصا يمينا وشمالا[4].

ثم بدأ في تدريس العلوم وإلقاء المواعظ، فاجتمع الناس حوله وأقبلت القلوب عليه، مما زاد من تأثيره وشهرته في المنطقة. ومع تزايد نفوذه، خشي حاكم بجاية من دعوته وتأثيره المتنامي، فأمره بمغادرة المدينة[5]. امتثل ابن تومرت للأمر وخرج من بجاية إلى رباط خارجها، حتى نزل بقرية تُعرف باسم ملالة، حيث واصل نشر أفكاره وتعاليمه بين الناس[6].

وهناك التقى ابن تومرت بالرجل الذي قدّرت له الأقدار أن يكون خليفته والمؤسس الفعلي لإمبراطورية الموحدين، ألا وهو عبد المؤمن بن علي. ويكاد المؤرخون يجمعون على أن هذا اللقاء لم يكن محض صدفة، بل كان نتيجة لعناية إلهية. وينقل البيدق، الذي يزعم أنه كان شاهد عيان على الحدث، رواية تبدو الأكثر صحة حول كيفية لقاء الزعيمين. حيث يذكر أن عبد المؤمن بن علي كان في طريقه إلى المشرق برفقة أحد أعمامه، وعندما نزل في بجاية، سمع بأمر ابن تومرت وتأثر بما قيل عنه، فاشتاق لرؤيته. وإزاء هذا، أذن له عمه بالتوجه إلى ملالة لهذا الغرض، [7]

[1]شوقي أبو خليل، الارك بقيادة المنصور، المرجع السابق، ص14

[2]هويشي ميرندا، المرجع السابق، ص 44.

[3]روجي لي تيرنو، المرجع السابق، ص 23.

[4]البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق، ص13.

[5]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 180

[6] ابن القطان، المصدر السابق، ص 77.

[7]البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق، 14.

وعندما التقى به سأله ابن تومرت عن اسمه؟ فقال له: عبد المؤمن بن علي، وسأله عن بلاده فقال له: قطر تلمسان، فقال له: أتكون من تاجرا؟ فقال له: نعم وأنا اريد الرحلة في طلب العلم لبلاد المشرق، فقال له المهدي: العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب"[1].

ومن ملالة سار حتى وصل الى تلمسان ومنها الى فاس[2]، وأخيرًا، دخل ابن تومرت مدينة مراكش سنة 514 هـ/1120م .، متخفيًا في زي الزهاد، كما كان دأبه. وكعادته، خرج مع تلاميذه إلى أسواق المدينة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون استئذان أمير المسلمين علي بن تاشفين أو أحد وزرائه، خاصة بعدما رأى في مراكش من المفاسد ما لم يشاهده في أي مدينة أخرى[3].

ولم يتوقف عنما يقوم به من توبيخ العامة بل تجاوز إلى العائلة الملكية.[4]ومع تزايد نشاط ابن تومرت في مدينة مراكش، استدعاه علي بن يوسف للوقوف على حقيقة أمره. وعندما أصبح بين يديه، استطاع بأسلوبه المؤثر أن يقنعه بأنه زاهد لا يبتغي منصبًا دنيويًا، وإنما يسعى فقط إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد أن تفشت المفاسد والبدع في ملك أمير المسلمين، الذي هو مسؤول عن إزالتها والعمل على إحياء السنة.

تأثر علي بن يوسف بكلام ابن تومرت، خاصة مع طريقته القوية في الإقناع، فتأثر حتى ذرفت عيناه بالدموع[5]، ثم رفع رأسه إلى وزرائه وأمرهم بإحضار الفقهاء لمناظرته، قائلاً لهم: "إنما استدعيت هذا الرجل لاختبار أمره، فإن كان عالماً اتبعناه، وإن كان جاهلاً أدبناه".

وهكذا بدأت المناظرة، حيث تبادل ابن تومرت والفقهاء الحديث، واحتدم النقاش في أمور العقيدة والشريعة. وكان ابن تومرت بارعًا في الجدل والمناظرة، متسلحًا بعلمه العميق وأسلوبه الحاد، مما

[1] مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص106.

[2]هويشي ميرندا، المرجع السابق، ص ص 50 51.

[3]حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني و الثقافي و الاجتماعي، ج 4، دار الجيل، بيروت 1416هـ -1996م، ط14، ص282.

[4]هويشي ميرندا، لمرجع السابق، ص 53.

[5]علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 174.

جعله يفرض نفسه في الحوار، ويثبت مكانته كعالم ومصلح ديني[1].حيث أخذ يستغل كل كلمة في المناظرة لتسليط الضوء على فساد الأوضاع في الدولة المرابطية، فبيَّن أن الخمور تُباع جهارا نهارا، والخنازير تتجول في الشوارع، وأموال اليتامى تُنهب بلا رقيب.

وأوضح أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق حاشية أمير المسلمين، لأنهم يعمدون إلى إخفاء تلك الحقائق عنه، مما جعله غير مدرك لما يجري في مملكته.[2].ولم يكتفِ بذلك، بل طرح على الفقهاء الحاضرين أسئلة معقدة لم يستطيعوا الإجابة عنها، لأن جل من حضر ذلك المجلس من علماء الفروع وليست لهم معرفة بعلم الأصول،[3] باستثناء فقيه أندلسي يدعى عبد الله بن مالك ابن وهيب الذي كانت له بعض المعارف الفلسفية والذي كان قادرا على فهم ما اثاره ابن تومرت لكن هذا الفقيه وحتى لا يخالف رأي بقية زملائه تحول الى ناطق باسمهم[4].

وهكذا، انتهى الحوار لصالح ابن تومرت بعدما نجح في إحراج خصومه حيث ملئوا منه رعبا وحسدا لما كان ينتحل مذهب الأشعريين في تأويل المتشابه وينكر عليهم[5]. وأصابهم الخجل أمام تفوقه، فسعوا إلى تشويهه والتشويش عليه. فقالوا لأمير المسلمين علي بن تاشفين: "هذا رجل خارجي مسعور أحمق، صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس، من بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها." فأمره أمير المسلمين علي بالخروج من المدينة[6].وتحت هذا الضغط، غادر ابن تومرت وأتباعه مراكش واتجهوا إلى خارج المدينة، حيث بدأ بإلقاء الدروس والمواعظ على الطلبة الذين أخذوا يتوافدون إليه لرؤية هذا الفقيه الزاهد والاستماع إليه[7]..

كان ابن تومرت يدرس مذهبه الجديد في كل مدينة يحل بها، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مما يدفع العلماء والطلاب إلى مجادلته، فيجيبهم وفق ما يقتنع به. فكان بعضهم يؤمن بمبادئه،

[1] نفسه، ص 174

[2] علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، المرجع السابق، ص 28.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص170.

[4] هويتي ميرندا، المرجع السابق، ص55.

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص05.

[6] علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 175.

[7] حسن ابراهيم حسن،المرجع السابق، ص284.

بينما يرفضها آخرون ويعارضونه، لكنه لم يكن يتوقف، بل واصل تطبيق ما ورد في كتاب الغزالي إحياء علوم الدين، لا سيما في موضوع الحسبة، التي عرفها بقوله إن لها خمس مراتب:

1. التعريف

2. الوعظ بالكلام اللطيف

3. السب والتعنيف – موضحًا أنه لا يقصد الفحش، بل يقول: "يا جاهل، يا أحمق، ألا تخافون الله؟

4. المنع بالقهر بطرق مباشرة، مثل كسر الملاهي، إراقة الخمر، واختطاف الثوب الحرير من لابسه

5. التخويف والتهديد بالضرب، بل ومباشرته حتى يمتنع الشخص عما هو عليه، مثل المواظبة على الغيبة والقذف[1].

يبدو أن ابن تومرت كان يسعى من خلال إظهاره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى تحقيق هدفين رئيسيين. أولهما لفت أنظار الناس إليه في المناطق التي مر بها، حتى بعد أن شاع فيها دين المصلحين. أما الهدف الثاني، فكان تشكيل خلايا سرية في تلك المناطق من الأفراد الذين تأثروا بمنهجه، ليكونوا دعاة لأفكاره ومبادئه[2].

2-ادعاؤه للمهدوية:

كان ابن تومرت من أوائل الذين تبنّوا فكرة المهدوية في بدايات القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حيث استطاع بذكائه وحنكته السياسية إقناع المجتمع البدوي بصحة دعوته، مستغلًا الأوضاع الاجتماعية والدينية آنذاك، وقاد حركة إصلاحية قوية أدت إلى إسقاط دولة

[1] أحمد العامري،حميد رضا بيكدلى، المهدي بن تومرت وحياته الفكرية والاجتماعية قراءة تاريخية، مجلة أضواء الحضارة الإسلامية، المجلد1، ع2، جامعة الأديان والمذاهب إيران، مارس2024، ص235.

[2] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 30.

المرابطين ومهدت لقيام دولة الموحدين[1]. ففي البداية مهد لإعلان مهدويته، مستخدمًا أسلوبًا تدريجيًا في التأثير على أذهان أتباعه، محركًا مشاعرهم ومثيرًا توقّعاتهم بقرب ظهور المهدي المنتظر[2].مستغلا الظروف التي كان يعيشها أهل المغرب في ذلك الزمان، حيث تفشَّى الفساد وتعددت مظاهره، وعمَّ الظلم والجهل وقلَّ الإنصاف، بينما انتشر الباطل على نطاق واسع. فصوَّر هذه الأوضاع بمبالغة شديدة، مُحمِّلًا المرابطين مسؤوليتها الكاملة، وسعى إلى تضخيمها في أذهان الناس محذِّرًا من خطورتها.

في المقابل، كان يُبشِّر بخروج المهدي المنتظر الذي سيخلِّصهم من هذا الواقع المزري، واصفًا إياه بصفات مثالية[3]، كما عمل دعاة ابن تومرت على ترسيخ فكرة أن الفساد والظلم والجور لا يمكن إزالته إلا بظهور المهدي المنتظر، مما جعل الإيمان به واجبًا في نظرهم، واعتبروا أي شك فيه كفرًا. وأكدوا لأتباعهم أن زمن المهدي قد حان، وأنه سيفتح المشرق والمغرب، ناشرًا العدل بعد أن امتلأت الأرض جورًا[4].

فقد كان ابن تومرت يردد أمام أتباعه: "إن العدل قد ارتفع، وإن الجور قد عمَّ، وإن الرؤساء الجهال قد استولوا على الدنيا.... وإن الباطل لا يزيله إلا المهدي، وإن الحق لا يقوم إلا به."[5] كما شدد على أن المهدي معروف عند العرب والعجم، في البادية والحضر، وأن العلم به ثابت في كل زمان ومكان، مما عزَّز في نفوس أتباعه قناعة راسخة بظهوره الوشيك ودوره في تغيير الواقع[6].

[1]أحمد العامري، حميد رضا بيكدلى، المرجع السابق، ص237.

[2]حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص 285.

[3]حمودي ولد حمادي، مسألة الإمامة عند مهدي الموحدين: ابن تومرت، مجلة دراسات، جامعة نواكشوط، ديسمبر 2016، ص193

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جزء6، ص 562.

[5]محمد بن تومرت، المصدر السابق، ص 257.

[6]نفسه، ص 257.

وتمَّ الإعلان عن مهدوية ابن تومرت في موكب شهير حضره جميع أتباعه، يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان المبارك عام 515هـ/1121م في مسجد بتينملل مع أصحابه العشرة متقلدين سيوفهم[1]، حيث وقف خطيبًا بين الجمع ليُلقي خطابًا مؤثرًا.

ينقل إلينا نصه ابن القطان كالآتي: "الحمد لله الفعَّال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحكمه. وصلى الله على سيدنا محمد، المبشِّر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا. يبعثه الله إذا نُسخ الحق بالباطل، وأُزيل العدل بالجور، ومكانه المغرب الأقصى، وزمنه آخر الزمان، واسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أضاف مؤكدًا: "لقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل."[2]

ولما سمع أتباعه المقرَّبون هذه الكلمات، أدركوا مغزاها، فقالوا له، كما روى عبد المؤمن بن علي: "هذه الصفات لا تنطبق إلا عليك، فأنت هو المهدي المنتظر فبايعناه في ذلك الموقف العظيم، على ما بايع به الصحابةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، متعهدين بأن نكون يدًا واحدة في القتال والدفاع.

وكانت البيعة الأولى من أصحابه العشرة المقربين تحت شجرة الخروب، حيث أعلنوا ولاءهم المطلق له وبعد ذلك، تتابع البربر على مبايعته، متعهدين بالقتال من أجله والتضحية بأرواحهم في سبيله، مهما واجهوا من شدائد ومحن، من جوع وابتلاء، ومن قتل وفتن. وهكذا، التزموا بعهدهم، مستعدين لخوض غمار المعارك تحت رايته.[3]

ثم صنف أتباعه إلى طبقات فجعل منهم العشرة ومنهم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته، وهم المسلمون بالجماعة، وجعل منهم الخمسين وهم الطبقة الثانية وهذه الصفات لا تجمعها قبيلة واحدة بل قبائل شتى[4]. ثم بايعه آخرون فسماهم بأهل السبعين وهم طبقة ثالثة ، أما بقية أصحاب المهدي فقد انقسموا إلى عشر طبقات تضم طلاب العلم والحفاظ وهم صغار الطلبة

[1] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص177.

[2] ابن القطان، نظم الجمان، ص 75.

[3] مجهول، الحل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،المصدر السابق،ص ص107، 108.

[4] المراكشي، المصدر السابق، ص 188.

وأهل الديار وهم أقارب المهدي وعشيرته وقبيلته وأهل تينملل وأهل جدميوه وأهل جنفيسة وأهل هنتانة وأهل القبائل والجند وأخيرا الغزات[1].

وكان لكل طبقة من هذه الطبقات مكانتها في الحكم كما رسم ابن تومرت لهذه الطبقات مالها من حقوق وما عليها من واجبات[2].

ثم علمهم التوحيد باللسان البربري حيث حدد معناه قائلا:" التوحيد هو إثبات الواحد ونفي ما سواه من إله او شريك أو ولي أو طاغوت"[3]، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور اعتبر أن من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا توكل ذبيحته. فقد صار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز لأنه وجدهم قوما جهلة لا يعرفون شيئا من أمور الدنيا فاستهواهم بكيده[4].

3-اعتقاد الإمامة والعصمة ووجوب الطاعة:

الإمامة عند ابن تومرت تعني الاتباع والاقتداء، والالتزام بالسمع والطاعة، مع التسليم الكامل للأوامر واجتناب النواهي. كما تشمل التمسك بسنة الإمام في الأمور الكبيرة والصغيرة[5]. يرى ابن تومرت أن الإمامة واجبة الاعتقاد وعمدة من عمد الشريعة ولا يصح قيام الحق إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان ولا يكون الإمام إلا معصوما .[6] "وبهذا التوصيف، لا تختلف الإمامة عنده عن معتقدات الشيعة الإمامية، الذين يؤمنون بأنها ليست مجرد مصلحة عامة تُفوَّض إلى اجتهاد

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص183.

[2] عبد الله علام، المرجع السابق، ص172.

[3] ابن تومرت، المصدر السابق، ص267.

[4] أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص177.

[5] علي الهادي الإدريسي، الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر1986-1987ص 135.

[6] محمد بن تومرت، اعز مايطلب، المصدر السابق، ص245.

الأمة، بل هي ركن من أركان الدين وأساس الإسلام، ويجب أن يكون الإمام معصومًا من الكبائر والصغائر.[1]

تتمحور وظيفة الإمامة عند ابن تومرت حول إقامة الدين الصحيح، وترسيخ مبادئ الشريعة، والالتزام بنهج السلف الصالح في العقيدة والسلوك. ويتلاقى هذا المفهوم مع رؤية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية[2]، حيث تُعنى بدور محوري في رفع الفساد، وإقامة الحدود، ونشر الأحكام الشرعية، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال إنصاف المظلوم وردع الظالم، مما يجعلها ركيزة أساسية في بناء المجتمع الإسلامي[3]. والتكذيب بها يؤدي إلى تعطيل الإيمان بالله واليوم الآخر وهو يعتبر من جنس العقائد لا من جنس الفروع[4].

كما يرى ابن تومرت ضرورة إثبات عصمة الإمام بشكل قاطع وصريح[5]، حيث يؤكد وجوب أن يكون الإمام معصومًا من الباطل والضلال والفتن والعمل بالجهل. لكنه، على خلاف تحديده الدقيق لمفهوم الإمامة، لم يضع تعريفًا محددًا للعصمة، بل ركّز على الصفات التي يجب أن يكون الإمام منزهًا عنها حتى يستحق هذا المنصب.

ففي قوله: "أن يكون معصوما من الباطل ليهدم الباطل، كما يجب أن يكون معصومًا من الضلال، ولابد أن يكون الإمام معصومًا من هذه الفتن، وأن يكون معصومًا من الجور لأن الجائر لا

[1] عبد الرحمان بلاغ، المرجع السابق، ص17.

[2] الشيعة الإمامية الاثنا عشرية هم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم وسُمُّوا بالاثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي. ينظر: كتاب الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، ج1،ص51.

[3] ابراهيم ارحومة سالم امهيري، محمد بن تومرت وآراؤه الفكرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفسير، جامعة سبها، ليبيا 2006، ص 103.

[4] حمودي ولد حمادي، المرجع السابق، ص188.

[5] نفسه، ص190.

يهدم الجور بل يثبته... وأن يكون معصومًا من الكذب"[1] و يوضح ابن تومرت أن العصمة شرط أساسي لضمان نزاهة الإمام وعدله.

كما يؤكد أن الاتفاق على قيادة الإمام لا يكون صحيحًا إلا إذا استندت الأمور إلى "أولي الأمر وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم"[2]، مما يجعل العصمة عنصرًا جوهريًا في شرعية الحكم وقيادة الأمة. كما سعى المهدي إلى التدرج في إعلان عصمته، حيث بدأ بالتلميح لهذا الأمر في بادئ الأمر، ثم انتقل إلى التصريح بدعوى العصمة لنفسه، مدعيًا أنه المهدي المعصوم. وقد استند في ذلك إلى أحاديث كثيرة، ولم يتورع عن توظيفها لدعم ادعائه. كما اتبع أتباعه النهج ذاته في الإقناع التدريجي، فبدأوا بإثبات نسبه العربي الهاشمي، ثم أقنعوا الناس بمهدويته، ليصلوا في النهاية إلى تأكيد عصمته، مما عزز مكانته بين أتباعه ورسّخ سلطته الدينية والسياسية[3].

وبذلك يكون المهدي عند ابن تومرت قد وافق رأي الإمامية الاثني عشرية في القول بعصمة الأئمة، حيث يرون وجوب عصمتهم من الكبائر والصغائر والنسيان. فهم يقولون: **"إن الإمام، كالنبي، يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، منذ الطفولة إلى الموت، عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان.**[4]"

وهكذا، يتضح أن ابن تومرت لم يكتفِ بادعاء العصمة لنفسه، بل جعلها جزءًا أساسيًا من دعوته. وهذا، بلا شك، يُعدّ **انحرافًا خطيرًا**، لأن من يقرّ بوجود معصوم بعد الرسول يجب أن يؤمن بكل ما يقوله ذلك المعصوم، مما يمنحه معنى النبوة، وإن لم يُطلق عليه لفظها صراحة. ولم يتوقف عند هذا الحد، بل بلغ به الأمر إلى قتل كل من يشكّك في عصمته، مما يعكس مدى تشدده في ترسيخ هذا المفهوم بين أتباعه[5].

[1] محمد بن تومرت، اعز مايطلب، المصدر السابق، ص245.

[2] نفسه، ص246.

[3] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 46.

[4] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص248.

[5] علي محمدالصلابي، المرجع السابق، ص47.

كما يؤكد ابن تومرت لأتباعه وأنصاره وجوب طاعة المهدي، والإيمان برسالته، والإذعان لمشيئته، والاستسلام لحكمه بصورة مطلقة، حيث يعرض ذلك على النحو التالي: "**العلم به واجب، والسمع والطاعة له واجب، واتباعه والاقتداء بأفعاله واجب، والإيمان به والتصديق به واجب على الجميع، والتسليم له واجب، والرضا بحكمه واجب، والانقياد لكل ما يقضي به واجب، والرجوع إلى علمه واجب، واتباع سبيله واجب، والتمسك بأمره حتم لا مفر منه**[1]."

ومن خلال هذا القول، نستنتج أن المهدي أولى عناية كبيرة لمسألة طاعة الإمام، وألحّ عليها بشدة، حيث قسّمها إلى مجموعة من الأجزاء التي تُعدّ واجبات المسلمين تجاه الإمام، وترتكز جميعها على الطاعة والانقياد، أو ما يتفرع عن هذا المفهوم. ومن بين هذه الواجبات:

- **العلم بالإيمان:** ويُحتمل أن يكون المقصود به معرفة شخص الإمام في كل زمان.
- **السمع والطاعة له:** باعتبارهما من أسس الولاء.
- **الرضا بحكمه والانقياد لكل ما يقضي به:** تأكيدًا على سلطته المطلقة.
- **اتباعه والاقتداء بأفعاله:** إذ يُنظر إليه كنموذج يُحتذى به.
- **الرجوع إلى علمه واتباع سبيله ورفع الأمور إليه في الكليات:** أي الاحتكام إلى رأيه في القضايا الكبرى، مما يعزز مكانته كمرجعية عليا[2].

[1] محمد ابن تومرت، المصدرالسابق، ص252.

[2] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص 236.

ثانيا: الصراع العسكري لابن تومرت

1-تكفير المرابطين

عمد ابن تومرت لدعاية لدولته بين القبائل البربرية، وسوف نختص في الذكر في عناصر الدعاية المسلطة ضد المرابطين، والتي أوجبت تكفيرهم واستباحة دمائهم والخروج على دولتهم، وذلك في ظل عقائد جديدة.

ما يميز رسائل ابن تومرت في حديثه عن المرابطين هو نقله للأحاديث التي تتناول علامات الساعة، والتي تتضمن ذمًّا لناس في آخر الزمان، وهو ما يوجهه إلى المرابطين .

بقوله:" **انهم الحفاة والعراة والعالة، ورعاء الشاء والإبل والجاهلون بأمر الله تعالى وانهم ملوك ويأتون في آخر الزمان ويتطاولون في البنيان ويلدون مع الايماء وانهم صم عن الحق، وبكم عن الحق لا يقولون به، وأنهم مضيعون للأمانة، وفي أيديهم سياط كأذناب البقر، وأنهم يعذبون الناس ويضربونهم، ورؤوس نسائهم كأسمنة البخت، وكاسيات عاريات، وأنهم يغدون في سخط ومائلات عن الحق، ومميلات لغيرهن**" [1]

كما يتميز أسلوب ابن تومرت بالتلاعب بالعامة من الأميين وأشباههم من البربر الذين كان لديهم ميل طبيعي لدعم كل من يخرج عن الحكم ويمتنع عن الخضوع للسلطان. لا شك أن تصوير الحكام بهذه الصورة السلبية يسهم في تأجيج مشاعر العداء ضدهم ويعزز هذا الطبع لدى العامة. وفي المقابل، نجد أن ابن تومرت قد ربط أحاديث الطائفة المنصورة والغرباء بجماعته، بل وقام بتصنيف بعض الأحاديث بطريقة تدعم انطباقها عليهم. بقوله:" باب في أن الطائفة التي تقاتل على الحق في آخر الزمان بالمغرب" وقوله "باب في ان الله يفتح الدنيا كلها لأهل الغرب[2]"

حرص المهدي على أن تكون دعوته إصلاحية في مواجهة الفساد وعلمية في مواجهة الجهل. ولذلك، نجد أنه كان يهاجم المرابطين من خلال الإشارة إلى مختلف المنكرات التي كانت

[1] محمد بن تومرت اعز ما يطلب، ص ص243-242

[2] نفسه، ص253

موجودة سواء في الرعية أو في صفوف الحكام والقضاة. من بين هذه المنكرات التي ذكرها، كان الإسراف والتبذير، وأكل أموال اليتامى، وقطع الطريق، وسفك الدماء. وكان يركز على وجوب جهاد من استحل الأموال والأعراض والدماء، وكذلك من أضاع السنن، ومنع الفرائض، وارتكب المناكر، ومن قال ما لا يفعل.

كما عمل ابن تومرت على تصوير خصومه بالجهل في محاولة منه لتقويض الصورة اللامعة التي اكتسبتها دولة المرابطين باعتبارها دولة الفقهاء. [1]ومن خلال تصوير خصومه على أنهم جهلة، كان يبرز العلم كخاصية تميز دعوته وأتباعه.

كرر ابن تومرت في رسائله اتهام المرابطين والعلماء الذين يؤيدونهم بأنهم مجسمون، كرر هذا التهام في احدى عشر موضعا. قوله" **وتجسيمهم وكفرهم أكبر** ..."

وكان من المعروف في تلك الفترة أن العقيدة السائدة هي عقيدة الإثبات والتنزيه، وهي عقيدة السلف، والتي تبرأ من التشبيه والتجسيم. لكن ابن تومرت وجد أن الطريقة الوحيدة لتنفير العامة عن هذه العقيدة هي عبر هذا الاتهام الذي يعلم هو نفسه أنه مجرد تلاعب فكري يوجهه ضد أهل الإثبات الذين يبرؤون إلى الله من التشبيه والتجسيم.

لم يكتفِ ابن تومرت بوصف المرابطين بالتجسيم الذي قد يُفهم على أنه نوع من الابتداع، بل ذهب إلى تأكيد كون المجسمين كفارًا مرتدين عن دين الله تعالى، وذلك في محاولة لتوجيه الناس ضدهم وشرعنة القتال ضدهم. كما أباح دماءهم من خلال تحريمه لمعاونتهم وتصديقهم. ففي أحد المواضع، تحت عنوان "تحريم معونة المرابطين وتصديقهم"، أكد ابن تومرت على هذا التحريم، مما يعكس استخدامه لهذه التهم كوسيلة لتنفير العامة عنهم وإضفاء الشرعية على معارضتهم. بقوله "**حرم الله تعالى طاعة المجسمين والمرتدين واليهود والنصارى**" [2]فقرنهم باليهود والنصارى وقدمهم عليهم

[1]ابن تومرت، المصدر السابق، ص 249 -250- 251-252

[2]نفسه، ص 247

لم يقتنع ابن تومرت بتكفير الفقهاء الذين كانت تهمتهم الأساسية التجسيم فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث لم يكتفِ بتكفيرهم بل امتد ذلك إلى رفض الحكم لكل المعاونين والمؤيدين للمرابطين. فابن تومرت، من خلال تكفيره لتلك الفئة، سعى إلى تقويض أي دعم للمرابطين من جميع الأطراف، محاولًا إقصاء كل من يساندهم أو يعترف بشرعيتهم.

بقوله :" **ومن اعوانهم المرتدون الذين رجعوا إليهم وباعوا دينهم بعرض من الدنيا يصبح أحدهم مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه وهذا كله ظاهرا**" [1]

2-المناوشات مع المرابطين:

أدرك الأمير علي بن يوسف أن المهدي بن تومرت أصبح يشكل تهديدًا حقيقيًا لدولة المرابطين، خاصةً بعد أن تبعه العديد من قبائل المصامدة بعد بيعته[2]. كانت هذه القبائل تشكل قوة كبيرة في المنطقة، مما جعل نفوذ ابن تومرت يزداد بسرعة. عندها تبين لعلي بن يوسف حجم الخطأ الذي ارتكبه حين ترك ابن تومرت حرًا في نشر أفكاره وتوسيع دعوته.[3]

يذكر لنا البيذق غزوات ابن تومرت ضد المرابطين فيجعلها تسعة، لا يحدد فيها تواريخها ولا يميز بين التي وقعت في ايجليز وبين التي وقعت في الأطلس الكبير.[4] لكن تصادم العسكري بين المرابطين وابن تومرت ابتدأ قبل هذه الغزوات التي يسردها البيذق.

بعث امير المؤمنين لقتال ابن تومرت والي السوس ابي بكر بن محمد اللمتوني وكان المهدي في جبل ايجليز وكان طرق وعر لا يستطيع صعوده الا فارسا واحدا مكث المرابطون في شرقي الجبل، نزل الموحدون من الجبل وهزموا المرابطون وفروا واستولى الموحدون على اسلحتهم من الخيل والسلاح. وقع هذا النصر في شعبان 516 هـ/ اغسطس 1123 م.[5] وكان لهذا تأثير في الدعاية لابن تومرت .

[1] نفسه،ص246

[2] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص177

[3] محمد عبد الله غنان، المرجع السابق،ص ص 177 -176

[4] هويثي ميرندا، المرجع السابق،ص64

[5] محمد عبد الله غنان،ل المرجع السابق، ص178

في حين يذكر لنا البيدق ان أول منازلة بين المرابطين والموحدين هي التي وصفها البيدق بقوله "**اعلم ان أول غزوة غزاها المعصوم المهدي يقال لها "تاودزت" كان قائد المرابطين هو ينتيان بن عمر وجموع المصامدة بقيادة المهدي بن تومرت فلما تصففت الصفوف نظر الناس للمعصوم ثم نظر المعصوم فيهم فقال لا تفزعوا انهم هاربون**" [1] وفعلا هرب المرابطون وقتل البعض منهم

في حين ذكر ابن قطان والي السوس ارسل جيشه بقيادة علي بن تابشا اللمتوني فغزا بني وارتناك وقبض على مائة رجل منهم .[2]

في المعركة الثانية تمكن الموحدون من تحقيق النصر على المرابطين بعدما بلغ ابن تومرت خبر قدوم جيش المرابطين بقيادة سليمان بن يكلد وعبد الرحمن ابن أبي فراس قاضي السوس استعدادا لمواجهته.

سارع الموحدين الى تجهيز صفوفهم تحت قيادته وقد علق البيدق على هذا الحدث:" **لما بلغه المهدي ان جيش المجسمين أتاه ... قال لنا المعصوم لا تجزعوا فإنكم تقبلون منهم الهدية..**" [3]

بعد انتصار المهدي في هذه المعركة توافدت العديد من القبائل لمبايعته مما عزز نفوذه وقوته وكانت قبيلة هنتاتة من بين هذه القبائل التي أعلنت ولائها له فاستقبلهم المهدي واطمئن إليهم مما رسخ مكانته ضمن الصفوف اتباعه.

تبع ذلك مواجهة جديدة بين المرابطين والموحدين في موقع يعرف باسمي "تالات آن ميزك" [4]حيث انتصر الموحدون على المرابطين. [5]

---

[1] البيذق، اخبار المهدي محمد بن تومرت، ص35

[2] ابن القطان المراكشي، المصدر السابق،ص 129

[3] البيذق اخبار المهدي محمد بن تومرت ، ص35

[4] تقع تالات آن ميزك في جبال الأطلس الكبير جنوب المغرب، قرب منطقة تينملل

[5] البيذق، أخبار المهدي، المصدر السابق، ص ص36-35

اندلعت الغزوة الرابعة حيث انضمت اليه قبائل كل من هرغة، ومكسالة وسجتانة واهل تينملل فتزايد عدد الموحدين حسب ما ذكر البيدق بقوله:" **اعلم يا اخي ان سيدنا المعصوم لما اراد الله ان يخرجه للغزو خرج لموضع يقال له "تيزي ان ما سئت" وكان يقدم جيش الزرجانة رجلان يقال لأحدهما يانتو والثاني اكدي بن موسى فوصل لنا الخبر أمرنا المعصوم بالخروج وخرجنا فلما اجتمعنا معهم اخذ علما ابيضا فدفعه للخليفة الإمام عبد المؤمن بن علي وأخرج معه كدميوة. ثم أخذ علما خامسا لعمر آيتني وتقدم لهنتالة ، ثم سائر القبائل على هذا الترتيب ، ثم قال لا تهبطوا للوطاء واتركوهم يصعدوا إليكم ففعلنا ذلك فقال خذوهم على بركة الله ، فهزمناهم بإذن الله.**" [1]

جاءت الغزوة الخامسة أمر أمير المسلمين علي بن يوسف جيوشه لمهاجمة الموحدين وعندما بلغ الخبر مسامع المهدي ابن تومرت استنصر قواته وطلب الدعم من قبيلة هنتاتة الاستعداد للمواجهة وأسفرت هذه الغزوة عن انتصار الموحدين وغنم الى جانب قبيلة هنتاتة غنائم كثيرة حيث أن نصيب كل فرد منهم بلغ صاعد من الدنانير حسب ما وصف ابن القطان.[2]

تبع ذلك اندلاع المعركة السادسة بين الموحدين والمرابطين حيث دارت مواجهة عنيفة بين الطرفين ابتسمت بقتال شديد وبعدها جاءت الغزوة السابعة التي حقق فيها المرابطين نصرا ثم الغزوة الثامنة أين تمكن الموحدون فيها من السيطرة على مدينة تزاكورت[3]، وأصروا عبيدا سماهم المهدي عبيد المخزن. [4]توجه بعدها ابن تومرت إلى مدينة تينيملل 518هـ/ 1124 م بعد أن قضى ثلاث سنوات في ايجليز[5]. وفي تلك الفترة بدأ المهدي ابن تومرت حملة للقضاء على من تخلف لبيعته من قبائل المصامدة حتى بات الجميع تحت طاعته ومع اتساع نفوذه.[6]

---

[1]البيذق، أخبار المهدي ، المصدر السابق،ص36

[2]ابن قطان مصدر سابق ص137

[3]**تزاكورت**: أنها المدينة المعروفة اليوم باسم زاكورة من إقليم ورزازات. البيذق : أخبارالمهدي ، ص38

[4]ابن قطان مصدر سابق ص137

[5]محمد عبد الله غنان،دولة الإسلام في الأندلس،ص 180 ص 182

[6]ابن قطان المصدر السابق ص141

بدأ الاستعداد للمرحلة التالية وهي حصار مراكش لكن قبل الإقدام على هذه الخطوة الحاسمة حرص المهدي على التخلص من معارضيه في استحدث "نظام التمييز". [1] أو "التصفية الجسدية"[2] وعرفت أيضا ب"الاعتراف" التي سمحت بالقضاء على كل خطر داخلي .

تتلخص بحضور المكلفين بالتنفيذ الى عين المكان لدى القبائل المعنية والمناداة بالاسم على المناوئين او مجرد المترددين في اعتناق العقيدة الموحدية ممن عرفوا بأهل التخليط، بالاعتماد على قوائم مضبوطة عرفت باسم "الجرائد" تم وضعها من قبل المكلفين بما يمكن أن ينعت باسم "التفتيش" قبل أن يتم تحكيم السيف في كل من نودي فيه ممن ورد اسمه في الجرائد المذكورة[3]. أسفرت هذه العملية بإبادة أعداد مهمة من أفراد قبائل ابن مكوس وجديموة وهنتاتة. [4]

هدف هذا النظام إلى تنظيم اتباعه بدقة وإحكام وتخلص من خصومه وعمد إلى المؤاخاة بين من تبقى من أنصاره ليشكل قوة موحدة ومتجانسة. تكون عونا له في معركته القادمة. [5]

3-حصار مراكش

مع تكرار فشل دعوة المهدي وتزايد عدد أتباعه واتساع طاعته، إلى جانب الهزائم المتتالية للمرابطين، قام المهدي بتوجيه رسالة بخط يده إلى جميع الموحدين، يدعوهم فيها للحضور إليه في تنملل. [6]فاستجابوا لندائه وهم في أتم الجاهزية وقوة الإمداد، حتى اجتمع حوله نحو أربعين ألف رجل، كان من بينهم عدد كبير من الفرسان. [7]

[1]البيذق أخبار المهدي ص39

[2]هويثي ميرندا، المرجع السابق، ص75

[3]محمد القبلي، كرنولوجيا تاريخ المغرب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب،مطبعة عكاظ الجديدة،ط1، 2012،ص36

[4]هويثي ميرندا، المرجع السابق، ص75

[5]ابن قطان المصدر السابق ص 141

[6]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 179

[7]مجهول الحلل الموشية ص114

وقال لهم: "**اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين فادعوهم الى اماده المنكر واحياء المعروف وإزالة البدع والاقرار بالامام المهدي المعصوم فان أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم وان لم يفعلوا فاقتلوهم فقد اباحت لكم السنة قتالهم**"[1]

لم يسافر ابن تومرت معهم لأنه أصابه مرض حسب ما ذكر صاحب الحلل الموشية.[2]

تختلف الروايات حول ظروف تولي عبد المؤمن بن علي إمامة بعد المهدي ابن تومرت غير انها كلها اجتمعت أن البيعة تمت بعد وفاة ابن تومرت فهناك من يجتمع أن ابن تومرت هو من أمر بذلك حسب رواية المراكشي وابن القطان في حين رواية صاحب الحلل الموشية وصاحب روضة القرطاس والبيذق فيقولا إن أصحاب المهدي كتم خبر وفاته وتمت بيعة خاصة سنة 524هـ /1130م بايع فيها أصحاب المهدي عبد المؤمن ثم بيعة عامة بعد وفاة المهدي بنحو عامين بجامع تينملل سنة 526هـ/1133م. [3]

نزلت جيوش الموحدين لحصار مدينة مراكش سنة 524هـ / 1130م، وهو التاريخ الذي يكاد يجمع عليه معظم المؤرخين، حيث ذكره كل من ابن خلكان، وصاحب "الحلّل الموشيّ ، والزركشي، وابن أبي زرع[4]. غير أن عبد الواحد المراكشي قدّم تاريخ الحصار إلى سنة 517هـ/1123م.[5] وهو تاريخ يُعد مبالغًا فيه.

وبعدما أصبح جيش الموحدين على أهبة الاستعداد، اتجه نحو مكان يُعرف بالبحيرة، ومن هنا اشتهرت المعركة باسم "**واقعة البحيرة**"[6].

---

[1] عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق ص195

[2] مجهول الحلل الموشية ص 114

[3] عبد الله غنان، المرجع السابق،ص 219 ص221

[4] البيذق، اخبار المهدي،ص41 ابن ابي زرع ص 179

[5] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص135

[6] وتعرف ببحيرة الرقائق أمام باب الدباغين وباب إيلان من مراكش حيث توجد اليوم بها حدائق أكدال الحالية ، وبها جرت وقعة البحيرة التي كانت يوم السبت 12 أفريل 1130 م الموافق ل 02 جمادي الأولى 524هـ حسب رواية البيذق وآخرين

مكثت جيوش الموحدين هناك لمدة أربعين يومًا، ثم تابعت مسيرها نحو مراكش. وقد خرج المرابطون لمواجهتهم بجيش يزيد على مئة ألف مقاتل، اميرهم بن علي بن يوسف ابن تاشفين التقت الفئتان في المعركة، فانهزمت قبائل المصامدة وقُتل منهم عدد كبير، من بينهم أصحاب المهدي البشير الونشريسي.[1]

بينما نجا عبد المؤمن مع نفر من أصحابه. وعندما وصل الخبر إلى ابن تومرت، سُئل: "**أليس قد ينج عبد المؤمن؟**" فأجابوا: "**نعم**". فقال: "**لم يُفقد أحد**[2]."أما البيذق فقال:"....**فأسرعت حتى وصلت للمعصوم، فاعلمته فقال لي :عبد المؤمن في الحياة ؟فقلت نعم قال لي الحمد لله ربي العالمين قد بقي أمركم ....**" [3]

ثم خاطب أتباعه من قومه يهون عليهم من شأن الهزيمة، مؤكدًا لهم أن من قُتلوا هم شهداء، لأنهم دافعوا عن دين الله وأظهروا السنّة، مما زاد أتباعه يقينًا بأمره ورغبةً في لقاء عدوهم من جديد[4].

ومنذ ذلك الحين، بدأ المصامدة يشنّون الغارات على نواحي مراكش، ويقطعون عن أهلها سبل المعيشة ومصادر التموين. [5] بدأ المرض يشتد على المهدي بن تومرت، وذكر ابن أبي زرع أن المهدي أخبر أصحابه بأن النصر سيكون حليفهم، وأنهم سيسيطرون على البلاد، ثم أعلمهم بأنه سيموت في هذه السنة، فحزنوا لذلك وبكوا عليه.[6]

.البيذق : أخبار المهدي ، ص40 هامش

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص7

[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق،ص136

[3]البيذق،اخبار المهدي،ص 40

[4]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص136

[5] نفسه، ص 193

[6]مجهول الحلل الموشية ص117

بعدها ظهرت عليه أعراض المرض الذي توفي بسببه، فظل طريح الفراش لعدة أيام، وخلال تلك الفترة قدّم عبد المؤمن لإمامة الناس في الصلاة نيابة عنه[1]. توفي يوم الاثنين الرابع عشر لرمضان524هـ/1130م[2].

وكما أشرنا سابقا انه تم كتم خبر وفاة المهدي، حتى بعدما بايع أصحاب المهدي عبد المؤمن بن علي[3]. ثم بايعه المصمادة[4]. لتدخل دولة المرابطين مرحلة جديدة في الصراع المرابطي الموحدي بقيادة عبد المؤمن بن علي مع الأمير المرابطي علي بن يوسف.

[1] ابن أبي زرع ص179

[2] مجهول، الحلل الموشية، ص117

[3] نفسه،ص117

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص192

الفصل الثالث:

مظاهر التقديس والتجريم لابن تومرت

أولا: مظاهر التقديس لابن تومرت في المصادر التاريخية

1- مكانته عند الحكام

2- مكانته عند المؤرخين

ثانيا: مظاهر التجريم لابن تومرت في المصادر التاريخية

1- الانحرافات العقدية والفكرية في دعوة ابن تومرت: المهدوية والعصمة

2- استحلال واراقة الدماء في دعوة ابن تومرت

أولا: مظاهر التقديس لابن تومرت

1-عند الحكام الموحدين:

من الطبيعي أن تكون دولة الموحّدين أول من تأثّر بفكر ابن تومرت، إذ قامت في الأساس على دعوته العقدية والإصلاحية، وجعلت من تعاليمه منطلقًا لبناء مشروعها السياسي والديني. فقد مثّل ابن تومرت، في نظرهم، الإمام المعصوم والمجدّد الذي حمل همّ إصلاح العقيدة والمجتمع، وأسّس لنظام ديني صارم يستند إلى التوحيد الخالص ومحاربة البدع والانحرافات. ورغم أن عبد المؤمن بن علي، مؤسس الدولة فعليًا، قد خالف بعض أسس التنظيم الحزبي كما رسمه ابن تومرت، بل وأدخل تعديلات جوهرية على شكل الحكم ونظام البيعة، فإن التزامه بعقيدة التوحيد ظلّ قائمًا، واستمر تأثير ابن تومرت في فكر وسلوك الحكام الذين خلفوه.[1]

ويبدو أثر ابن تومرت جليًّا في رسائل الخلفاء الموحّدين، التي لا تكاد تخلو من الإشارة إلى مفاهيم المهديّة والعصمة والإمامة[2]، حيث يُستهل معظمها بالتنويه بشأنه مباشرة بعد حمد الله، تعبيرًا عن استمرارية الاعتراف بمكانته المركزية في العقيدة والسياسة. وتتفاوت صيغ هذا التنويه من خليفة إلى آخر ومن كاتب إلى آخر تفاديًا للتكرار في الألفاظ، إلا أن المضمون يظلّ ثابتًا ويعكس إجماعًا واضحًا على تبجيل شخصه ومكانته.

فعلى سبيل المثال، نجد في إحدى رسائل عبد المؤمن بن علي عبارة: " ونصل الرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم المحرز شرف المبادئ والعواقب، المجلي بنوره الثاقب، حجب الظلام الواقب."[3]، وفي رسالة أخرى له ورد قوله: 'وكان مقصدنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضي الله عنه لتجديد عهدٍ به تقادم، وشفاء شوق إليه لزم ولازم.[4]'

---

[1] علي الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص 228.

[2] حسن جلاب، المرجع السابق ،ص 177.

[3] ليفي بروفنسال، رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، ج 10، المطبعة الاقتصادية ، الرباط 1941م، ص 1.

[4] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 552.

أما في عهد ابنه أبي يعقوب يوسف، فنجد في إحدى رسائله: "ونرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم، نجله وسبيله."[1]، بينما ورد في رسالة أخرى صادرة عن الأمير يوسف قوله: "ونرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم، نجله المرتضى وسليله، وتوالي الدعاء لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره والداعي لسبيله."[2]

كما جاء في رسالة للناصر:"... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم، الآتي زمانه، والدين إليه بالأشواق، المعتز مكانه بالإجماع النبوي والاصطفاف."[3]

تُظهر هذه النماذج مدى عمق حضور ابن تومرت في الخطاب الرسمي، مما يدل على ترسيخ مكانته بوصفه مرجعًا روحيًا وسياسيًا يُستمد منه الشرعية والاستمرار. فقد غدا تمجيد ابن تومرت في المراسلات الرسمية والمناسبات الدينية والسياسية عرفًا راسخًا في دولة الموحّدين، وهو ما يدل على أن الخلفاء الموحدين حرصوا أشدّ الحرص على التمسك بالعقيدة الدينية–السياسية التي صاغها الإمام المهدي، والتي أجمعت حولها الأنصار بوصفها مصدرًا للشرعية وضمانًا لوحدة الدولة واستقرارها[4].

ويتجلى هذا الحرص بوضوح منذ تولي عبد المؤمن بن علي الحكم، إذ لم يكتفِ بالاستناد إلى فكر ابن تومرت، بل أولى عناية خاصة بمؤلفاته، فأمر بقراءتها، وأصدر مرسومًا يُلزم العامة بالاشتغال بها، محددًا لهم مقادير معينة لضبط العقيدة كما صاغها الإمام.[5]

ومما جاء في ذلك المرسوم مايلي:"..ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ويحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهدوه ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتبصر، ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي أولها" اعلم ارشدنا الله وإياك".[6]

---

[1] عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس– عصر المرابطين والموحدين، ج2، مطبعة المدني ،القاهرة،1990م، ط2 ص 728

[2] ليفي بروفنسال، رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، المصدر لسابق ، ص 139.،

[3] حسن جلاب، المرجع السابق، ص 178.

[4] عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص 230.

[5] عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 81.

[6] عبد المجيد نجار ، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص 406.

كما سار عبد المؤمن على نهجه في تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاحتكر سلطة إقامة الحدود والعقوبات، وهو ما يظهر بوضوح في رسالته إلى جميع الطلبة بالأندلس والأشياخ وجميع اعيانه ،إذ قال: "فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين للكبائر، وتعلمونا بنبأ كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر، دون أن تقيموا الحد عليه أو تبادروا بالعقاب إليه، ولا سبيل لكل إلى قتل أحدٍ من كل هن هو في بلاد الموحّدين"[1]. وهذا يبيّن مدى التزام عبد المؤمن بمبادئ الدولة التوحيدية، حيث اعتُبر الإمام المرجع الأعلى في الدين والدولة، لا يُنازع في سلطته ولا يُنفّذ حدٌّ دون إذنه.

أما ابو يعقوب يوسف فقد ذكر عنه أنه كان يشدد في إلزام الرعية باقامة الصلاة ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها فمن تركها عوقب وكان يتصف بالتحري الشديد في الدماء.[2]

أما أبو يوسف يعقوب فالغالب على الظن أنه كان في قرارة نفسه مشككا في عقيدة المهدية لابن تومرت ولكنه مع ذلك يبقي الأمور على عادتها في تعظيم هذه العقيدة ولم يجرؤ على أن يحدث أي تغيير ظاهر في رسوم الإمامة الموحدية[3].

وقد كان الخلفاء الموحدين من جهة اخرى شديدي الاهتمام بالعلم تقليدا لإمامهم فزيادة على عبد المؤمن الذي كان من أوائل طلبة ابن تومرت نجد ابنه أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن متصفا بصفات العلم في جميع الفنون[4].

2-مكانته عند المؤرخين والعلماء:

حظي ابن تومرت بمكانة متميزة في كتابات عدد من المؤرخين، الذين لم يكتفوا بسرد أخباره، بل مجّدوه وأضفوا عليه هالة من القداسة، مُبرزين شخصيته كإمام معصوم ومجدد ديني، بل واعتبروه مُلهماً إلهياً جاء لإصلاح حال الأمة. وقد ساهم قرب هؤلاء المؤرخين من الدولة الموحدية، أو تأثرهم

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 556.

[2] عبد القادر ربوح، المرجع السابق، ص 83.

[3] .عبد المجيد نجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص405.

[4] عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص231.

بعقيدتها، في رسم صورة مثالية لابن تومرت، تمجّد فكره، وتبرّر أفعاله، وتضفي على مسيرته طابعاً روحانياً يتجاوز النقد التاريخي الموضوعي.

فمن أبرز من خصّوا ابن تومرت بالتعظيم والثناء في كتاباتهم، نجد البيذق، تلميذه ومؤرخ الدولة الموحدية، الذي كرّس قلمه لتمجيد أفعال ابن تومرت وتصويرها على أنها تجسيد للحق ومحاربة للباطل. وقد كان يعرض مواقفه العقابية باعتبارها تطبيقًا للحكمة والشريعة، كما يتجلى ذلك في روايته بكتاب أخبار المهدي، حين أورد أن ابن تومرت، لدى دخوله مدينة تلمسان، صادف موكب عروس تُزف إلى زوجها راكبةً على سرج تتقدمه مظاهر اللهو والمنكر، فقام بكسر الدفوف وإيقاف مظاهر الاحتفال، وأنزل العروس عن السرج[1]. واعتبر البيذق هذا التصرف دليلًا على الحكمة والرشد.

كما يُعدّ البيذق من أوائل أتباع ابن تومرت الذين آمنوا بمهدويته وعصمته، فضلاً عن كونه من تلامذته الذين تلقّوا العلم على يديه، ورافقوه في مجالس الذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مختلف مدن المغرب التي نزل بها[2]. ويذكر البيذق المهدي بصيغة " سيدنا المعصوم" وأحيانا "الامام" وعلى سبيل المثال في قوله:" وذلك أنه لما دخل سيدنا المعصوم قسنطينة نزل بها عند الفقيه الميلي"[3]. وقوله أيضا:" فأقبل الفقهاء يهرعون نحو الإمام المعصوم.."[4]

وقد اتّسمت كتاباته بتقدير كبير للمهدي وتمجيد واضح لشخصه، يقابله عداء ظاهر وكراهية شديدة لأولئك الذين رفضوا دعوته أو خذلوها. ومن اللافت للانتباه أن البيذق لم يُبدِ أي تحرج من ذكر جرائم الموحدين، وخاصة حادثة "الاعتراف" في عهد عبد المؤمن بن علي، والتي تم فيها إصدار أوامر بتصفية آلاف المعارضين، حيث سجّلها بدقة ووضوح، انطلاقاً من قناعته بأن هؤلاء يستحقون ذلك

[1] البيذق، اخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق، ص 20.

[2] عواد المنور، بن معمر محمد، الكتابة التاريخية عند البيذق من خلال كتابه أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، المجلد 11، عدد 1، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة وهران1، جامعة الجزائر1، مارس 2020، ص 72.

[3] البيذق، اخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق، ص 12.

[4] نفسه، ص 21.

المصير[1]. وهذا ما أكده قوله:" وتم الاعتراف بحمد لله وعونه ، والصلاة على محمد نبيه، فهدأ البلاد للموحدين وأعانهم على الحق.....وأزال الله ما كان فيها من التخليط فهاذا كان سبب التخليط"[2]

وكذلك نجد ابن القطان في كتابه نظم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، من بين المؤرخين الذين أظهروا تقديسًا واضحًا لابن تومرت، إذ لم يكن يذكر اسمه إلا مقرونًا بلقب " الامام المهدي رضي الله عنه'، تعبيرًا عن إيمانه المطلق بعصمته ومهدويته. ومثال ذلك في قوله:" فمنها وصول الإمام المهدي رضي الله عنه إلى بجاية فأمر بالمعروف"[3].

كما حظيت دعوة ابن تومرت بتأييد عدد من العلماء الذين رأوا فيها مشروعًا إصلاحيًا يهدف إلى تطهير العقيدة ومحاربة الانحرافات العقدية والسلوكية التي كانت منتشرة في المغرب الإسلامي خلال فترة الاضطراب الديني والسياسي. ويُعد أبو عبد الرحمن بن طاهر من أبرز هؤلاء العلماء الذين أيدوا دعوة ابن تومرت، حيث اعتبره مجدّدًا للدين ومصلحًا حقيقيًا في زمن كثرت فيه البدع والانحرافات[4].

وقد عُرف بمواقفه الحازمة في تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما تجلّى بوضوح في رسالته التي أوردها ابن القطان في كتابه نظم الجمان و المعنونة بـ "الرسالة الكافية في البرهان على ثبوت إمامة المهدي"، التي وجهها إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، والتي تُعد من أهم النصوص المؤيدة لابن تومرت من داخل النخبة العلمية.

في هذه الرسالة، سعى ابن طاهر إلى إثبات مهدوية ابن تومرت عقليًا ونقليًا، مستعملًا أسلوبًا رمزيًا من خلال مناظرة بين "النفس المطمئنة" و" النفس الأمارة بالسوء" ليُبيّن أن النفس المؤمنة لا يمكنها إلا أن تُقر بشرعية ابن تومرت كمهدي. حيث جاء فيها قول النفس المطمئنة:"إن الإمام المهدي أبا عبد الله مهدي على الحقيقة، وملك على الإطلاق، وإمام أول، وأنه بُشّر به جده محمد صلى الله عليه وسلم"،[5] مؤكدة على تطابق صفاته مع ما جاء في الأحاديث النبوية.

---

[1] عواد المنور، بن معمر محمد، المرجع السابق، ص78.

[2] البيذق، المصدر نفسه، ص 72.

[3] ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص76.

[4] عبد المجيد نجار، المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص 408 .

[5] ابن القطان، المصدر السابق، ص 103.

كما أشار إلى فساد الواقع الذي خرج فيه ابن تومرت، بقوله: "ألم تكن مدن الملثمين مدنًا ضالة فاسقة... وإن المهدي قام لإطفاء هذه النار مستعدًا، إذ لم يجد عن ذلك في الشريعة بدًا، فبادر لها مشمرًا مجدًا"[1]، ليُبرز أن حركته جاءت استجابةً لواجب شرعي لا يمكن تأجيله. كما يقول :" ...فليس هذا قد جاء بهدى؟ فهو مهدي حقيقة ضرورة"[2].

وهي عبارة تؤكد أن ابن طاهر لم يعتبر ابن تومرت مجرد مصلح، بل المهدي المنتظر الذي لا خلاف في أمره، وأن تأييده له كان نابعًا من قناعة دينية وعقلية راسخة، لا من منطلق سياسي أو نفعي. إضافة إلى عبد الله بن محمد بن حماد بن زغبوش المكناسي، الذي كانت له عناية بتأليف المهدي[3].

ولم يرد في كتابه أي تصريح أو تلميح يُخطّئ فيه أفعال ابن تومرت أو يُدين سلوكه، بل كان يرى في كل ما صدر عنه حكمة وغاية مقصودة. ويتجلى هذا الموقف في روايته عن الفقيه الافريقي الذي أنكر على ابن تومرت كثرة القتل الذي مارسه ابن تومرت ضد اهل تينملل فكان جزاؤه القتل نفسه[4].

كما ورد في المقولة: "وكان رضي الله عنه أثبت في العشر الفقيه الإفريقي فلما قتل أهل تينملل أنكر ذلك فقتل وصلب لأنك شك في عصمة الإمام المهدي"[5]. ففي هذه الحادثة، ابن القطان لم يُبدِ أي استغراب أو إدانة لما جرى، مما يعكس اقتناعه التام بعدالة أفعال ابن تومرت، وبالتحديد موقفه من عصمة المهدي، إذ كان أي شك في عصمته يُعتبر جريمة تقتضي العقاب. **كما أكّد ابن القطان نسب ابن تومرت الشريف وربطه بآل البيت**[6]**، وهو ما يُعدّ دليلاً إضافيًا على تقديسه له، إذ إن تثبيت هذا النسب يُعزّز من شرعية دعوته المهدوية ويضفي عليها بُعدًا دينيًا وروحيًا عميقًا.**

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص 103.

[2] نفسه، ص 104.

[3] عبد المجيد بن نجار، المهدي بن تومرت ، المرجع السابق، ص412.

[4] كمال رجالين، رضا شعبان، التأديب والعقاب عند ابن تومرت من خلال أخبار المهدي للبيذق، المجلة التاريخية الجزائرية ، مجلد 06، عدد 02، باتنة ، الجزائر2022، ص 264.

[5] ابن القطان ، المصدر السابق ، ص142.

[6] نفسه، ص87.

و من المعروف لدى الباحثين في مجال التاريخ أن العديد من المؤرخين الذين شهدوا فترة دولة الموحدين كانوا يظهرون ولاءً كبيرًا لها، فكانوا لا يذكرون أي تفصيل صغير يتعلق بها أو بمؤسسها إلا ويعظمون من شأنه كإبن صاحب الصلاة وغيرهم .[1]

[1] كمال رجالين، رضا شعبان، المرجع السابق، ص 164.

ثانيا: مظاهر التجريم لابن تومرت في المصادر التاريخية

1-الانحرافات العقدية والفكرية في دعوة ابن تومرت: المهدوية والعصمة

إن المرتكزات الفكرية والعقدية التي قامت عليها دعوة ابن تومرت تُعد مخالفة لمبادئ الإسلام الصحيح، ولا تنسجم مع منهج أهل السنة والجماعة الذي سار عليه النبي وأصحابه. والسبب في ذلك أنه تعلم على يد أناس كثيرين وتيارات مختلفة من سنة وشيعة ومعتزلة وغيرها في الشام والعراق ومكة ومصر وغيرها من البلاد، حتى ظهر عليه خليط من العقائد المختلفة.

ومن أبرز مظاهر الانحراف في فكره أنه ادّعى المهدوية، زاعمًا أنه المهدي المنتظر الذي بشر النبي بظهوره في آخر الزمان. وادعى أن ظهوره جاء نتيجة لانتشار الجور والفساد وسيطرة الجهال والدجالين على الأمة. وأكد أن العدل لا يُمكن أن يُقام إلا على يديه، وأنه الوحيد القادر على إزالة الباطل وإحياء الحق. ولم يكتفِ بذلك، بل بالغ في تحديد مكان خروج المهدي. وقرن ذلك بأنه قريشي النسب وأورد ذلك في خطبته عندما تمت بيعته 515هـ/1121م[1].

قضية المهدوية وردت في عدد من أحاديث النبي ، وهي ثابتة عند أهل السنة والجماعة، ولكن بفهم وضوابط محددة، لا كما زيفها الغلاة أو أدعاها من لا حق لهم فيها مثل ابن تومرت[2].

وردت في المهدي أحاديث كثيرة، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو حسن، ومنها الضعيف والموضوع، وسنكتفي بذكر ما صحّ منها أو حَسُن. قوله: "لا تَذهَبُ الدُّنيا، أو لا تَنقَضي الدُّنيا، حَتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ من أهلِ بيتي يواطِئُ اسمُه اسمي "[3]

---

[1]ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص177.

[2]علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص38

[3]المباروكفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحليم، تحفة الأحوذي بشرح جامع ابن الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت، ص 485

وقوله:" لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدونا قال ثم يخرج رجلا من عترتي أو من أهل بتي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدونا"[1] وصفته الواردة أنه أجلي[2] الجبهة أقني[3] الأنف [4]

كما هناك العديد من الآثار الواردة عن الصحابة التي تصرح بظهور المهدي، ما يجعل هذه الفكرة متجرة في الفكر الإسلامي منذ القرون الأولى.

يتجلّى من خلال التراث الفكري لابن تومرت تصوّر خاص لفكرة المهدي، يخرج عن الإطار الذي رسمته النصوص الشرعية المعتبرة، حيث نسب ظهور المهدي إلى منطقة المغرب الأقصى، في تجاوز واضح لما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة، التي لم تتضمن تحديدًا لمكان ظهوره. ويُعدّ هذا الادّعاء من ابن تومرت افتراءً على الله ورسوله، لما فيه من قول على الغيب بغير علم، ومخالفة لصريح النصوص الشرعية الثابتة.[5]

فادعاء النسب القرشي، وقد قال المؤرخون عن هذا الانتساب. فقال الذهبي:" دعوى الكذب والزور من أنه حسني وهو هرغي بربري وأنه إمام معصوم وهو بالإجماع مخصوم" [6]

وقال ابن خلدون: "وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت وأنه محمد بن خالد بن تمام .....ابن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي أدرس الأكبر."[7]

وأورد ابن أبي زرع: "...هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بابن تومرت الهرغي وقيل هو من كنفيسة، والله أعلم بذلك كله".[1] كما أكدت المصادر المغربية ذلك :" ويبدو من اسمه أنه من قبيلة هرغة احدى بطون مصمودة الساكنة في بلاد السوس بجبال الأطلس." [2]

---

[1] المباروكفوري، المرجع السابق،ص485

[2]الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهتيه ينظظر: عبد المجيد بن محمد الوعلان، عقيدة الايمان باليوم الاخر وآثرها في اصلاح المجتمع، د ط، ص37

[3]لقنا في الأنف طول ورفه أرنبته مع حدب في وسطه. عبد المجيد الوعلان، المرجع السابق، ص37

[4]أبو الفداء الحافظ بن الكثير، النهاية في الفتن والملاحم، دار الحديث، دط، دت، ص46

[5]علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص38

[6]شمس الدين الذهبي، العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ص 412

[7]عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص301

إن ادعاء ابن تومرت انتسابه إلى النسب القرشي لم يكن سوى وسيلة خفية وثوبًا مستعارًا، أراد من خلاله تعزيز دعواه بأنه المهدي المنتظر، وجعل منها شعارًا لتأكيد زعامته الدينية والسياسية[3].

كما سيكون ظهور المهدي من قبل المشرق[4]، فقد أورد ابن الكثير نقلا عن حديث ام سلمة رضي الله عنها أنه عند موت خليفة، يحدث خلاف بين الناس، فيخرج رجل من المدينة المنورة هاربًا إلى مكة، فيلحقه أهلها ويجبرونه على مبايعتهم له بالإمامة بين الركن والمقام، رغم أنه لا يرغب بذلك. ثم يُرسل جيش من الشام لمحاربته، فيخسف الله بهم الأرض في منطقة البيداء بين مكة والمدينة.

وعندما يرى الناس هذا الأمر العجيب، يبايعه أبدال الشام وأهل العراق. بعد ذلك، يقاتله رجل من قريش مؤيد من قبيلة كلب، فيُرسل المهدي جيشًا وينتصر عليهم، وتكون الخيبة لمن لم يشهد هذا النصر. ثم يبدأ في توزيع المال، ويحكم بالعدل على نهج النبي □، ويُعز الإسلام على يديه، وتستقر الأمور سبع سنين، ثم يتوفى ويُصلي عليه المسلمون[5].

جعل ابن تومرت من فكرة المهدية عقيدة أوجب على أتباعه الإيمان بها. ولم يكتفِ بذلك، بل أضاف إلى هذه الدعوى ادّعاء العصمة لنفسه، إذ وصف نفسه بأنه "المهدي المعصوم"، وسرعان ما انتشر هذا الاعتقاد بين أتباعه، حتى صاروا يلقبونه بـ "المعصوم" دون أي تردد أو شعور بالحرج.

عند أهل السنّة والجماعة، تُعدّ العصمة من الخصائص التي اختصّ الله بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولم تثبت لغيرهم، حتى لأكابر الصحابة الذين امتازوا بالفضل والمكانة، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين[6]. وبناء على ذلك، فإن ادّعاء ابن تومرت للعصمة

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص172

[2] هشام أبو رميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية بالأندلس، دار الفرقان، عمان، الأردن،1984، ط1، ص31

[3] محمد عنان، المرجع السابق، ص160

[4] علي الصلابي، دولة الموحدين ،المرجع السابق، ص39

[5] ابن الكثير، النهاية في الفتن، المصدر السابق، ص ص 46-47

[6] ابي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، د د،1986،ط1،ص83

يُعدّ خروجًا عن عقيدة أهل السنّة، ويمثّل تقاربًا مع مذهب الرافضة الاثني عشرية، الذين يعتقدون بعصمة أئمتهم. فهم يزعمون أن أئمتهم معصومون من الكبائر والصغائر، ومن الخطأ والسهو والنسيان، وأن العصمة ترافقهم منذ الطفولة وحتى الوفاة، بل ويُعاملونهم في ذلك معاملة الأنبياء من حيث وجوب العصمة المطلقة[1].

وقد أنكر ابن خلدون عصمة ابن تومرت بقوله: "...والمتحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالامام المعصوم"[2]

قال العلامة ابن القيم: "أما مهدي المغاربة محمد بن تومرت فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتحيل، فقتل النفوس وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم. وكان شرًا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، يأمرهم أن يقولوا للناس إنه المهدي الذي بشر به النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم يردم عليهم ليلًا لئلا يكذبوه بعد ذلك، .... واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان، وتسمى بالمهدي المعصوم"[3]

وهكذا يتبيّن أن محمد بن تومرت قد بالغ إلى حدّ كبير في دعواه العصمة لنفسه، وهو انحراف عقدي جسيم لا شك فيه، إذ إن إقرار العصمة لشخصٍ غير نبي يقتضي تصديقه في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل، الأمر الذي يضفي عليه صفة النبوة من حيث المعنى، وإن لم يُصرّح بها لفظًا. وهذا يُعدّ تجاوزًا خطيرًا لحدود العقيدة الإسلامية، التي تحصر العصمة في الأنبياء والرسل فقط[4].

---

[1] أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، تح: عبد الرحمن البدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص142

[2] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ص305

[3] أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، تح: يحي بن عبد الله الثمالي، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، دار عالم الفوائدلنشر والتوزيع، دط، د ت، ص154

[4] راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ لنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010نص544

2-استحلال واراقة الدماء في دعوة ابن تومرت

برزت سمة العنف في شخصية ابن تومرت بشكل واضح منذ أن بدأ حمله لراية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك خلال رحلته عودته من المشرق، انطلاقًا من مصر وصولًا إلى بلاد المغرب. فقد أقدم على قتل عدد من أشياخ مدينة فاس، ثم أمر بقطع رؤوسهم وتعليقها.[1]

كما اتّسمت دعوة ابن تومرت باستخدام القوة في فرض أفكاره، حيث يذكر البيدق أنه خلال دعوته للقبائل، واجه من رفض الانصياع له بالعنف، إذ أمر بقتال القبائل التي اعترضت دعوته، ومن بينها قبيلة بني محمود، التي شنّ عليها القتال مستعينًا بقبيلة بني واكاس[2].

اعتمد المرابطون في تصورهم العقدي على إثبات الصفات الإلهية كما وردت في النصوص الشرعية دون تأويل، التزامًا بمنهج السلف. في المقابل، تبنّى ابن تومرت التصور الإعتزالي القائم على نفي الصفات عن الله تعالى، معتبراً إثباتها تجسيماً. واستناداً إلى هذا التأويل العقائدي، اتهم المرابطين بالتجسيم، ومن ثم كفّرهم[3].وبناءً على تكفيره للمرابطين، أباح محمد بن تومرت دماءهم، واعتبر قتالهم واجبًا شرعيًا، فدعا إلى الخروج عليهم وقتالهم. ويتجلّى في هذا السلوك جانب من أخلاقياته السياسية والعقدية، إذ يُلاحظ ميله إلى التساهل في سفك الدماء، وهي سمة تُشبه إلى حدّ كبير خصائص الخوارج في تعاملهم مع مخالفيهم في العقيدة.[4]

فعملية التمييز هي خير مثال على إراقة ابن تومرت لدماء، التي كانت في 519هـ/1125م. تشير بعض الروايات إلى أن ابن تومرت كان يلجأ إلى أساليب الشعوذة والدجل عندما تعجز الوسائل الأخرى عن تحقيق أهدافه[5]، وقد ذكر تورنو أنه استعمل أحيانًا الحيل للتأثير في عقول البربر البسطاء واستمالتهم إلى دعوته[6]. ومن حرصه على تجنب مصادمة الناس وكسب ودّهم، اتفق مع أبي محمد

---

[1] البيذق، المصدر السابق،ص24

[2] نفسه، ص32

[3] راغب السرجاني، قصة الأندلس، المرجع السابق، ص544

[4] نفسه، ص545

[5] حسن جلاب، المرجع السابق، ص40

[6] روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص44

البشير الونشريسي على كتم فصاحته والتظاهر بالعيّ، إمعانًا في إظهار التواضع والبساطة[1]. ويذكر ابن غلبون أن المهدي، خوفًا من تمرّد أهل الجبل عليه، أمر الونشريسي باتخاذ جملة من التدابير التي عُدّت دلائل واضحة على زندقته[2].

يروى في هذا السياق أن أحد أتباعه، ويدعى أبو عبد الله الونشريسي، مثُل بين يديه في المسجد بعد أن أمره المهدي بالتظاهر بعدم المعرفة به، ثم روى أمام الحاضرين أنه تلقى تعليمًا ربانيًا مباشرًا من مَلَك، وعُلم القرآن والعلوم الدينية، وأُعطي نورًا يميز به بين أهل الجنة والنار.

وقد اتخذ المهدي من هذه القصة وسيلة رمزية لتبرير القتل والتصفية، حيث أمر باختبار صدق الرجل في بئر ادّعي نزول الملائكة فيها، ثم لما ادعى من فيها صدقه، أعلن أنها موضع مقدّس وطهرها بردمها، قبل أن يأمر بتصفية من حضر من أهل الجبل دون سلاح[3]. م نادى في اهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريسي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من اهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغري ومن لا يخشى فيقول هذا من اهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعون ألف فلما فرغ من ذلك امن على نفسه واصحابه.[4]

وفي رواية أخرى إن ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد في أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم : إنكم لا يصح لكم دين ولا يقوى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخراج المفسد من بينكم ، فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فإن انتهوا وإلا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إلي لأنظر في أمرهم . ففعلوا ذلك وكتبوا له أسماء هم من كل قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرر من الأسماء فأثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الأسماء التي كتبها ودفعها إلى الونشريسي المعروف بالبشير وأمره أن يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين، ففعل ذلك. وأمر أن يكتف من على

[1] حسن جلاب، المرجع السابق، ص40

[2] أبي عبد االله محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخيار، دار المدار الإسلامي، بنغازي،ليبيا، 2004، ص123

[3] نفسه، ص123

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ص199

شمال الونشريسي فكتفوا وقال: إن هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم. وأمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقيائهم فقتلوا عن آخرهم، فكان يوم التمييز.[1]

ومن الروايات التي تندرج ضمن سياق الأسطورة والتهويل في سيرة ابن تومرت، ما أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء، حيث نقل رواية تفيد بأن ابن تومرت أخفى رجالًا في قبور بمنطقة "دُوَارِس"، ثم جاء في جماعة ليُظهر لهم "آية" كدليل على مقامه الروحي المزعوم، قائلاً لهم إن هؤلاء الموتى سيجيبونه تأكيدًا على مهديّته، فكان ردّهم: "أنت المهدي المعصوم، وأنت وأنت...". غير أنه، وبعد أن خشي افتضاح الحيلة، قام بردم القبور عليهم، فماتوا مختنقين تحت التراب.[2]

تميّزت بعض الكتابات التاريخية بنزعة نقدية واضحة تجاه النهج التأديبي الذي اعتمده ابن تومرت، مؤسس الحركة الموحدية، حيث رفض عدد من المؤرخين مظاهر العنف وسفك الدماء التي طبعت مرحلته التأسيسية. وقد اعتبر هؤلاء أن هذا التوجه يُعدّ خروجاً عن القيم الشرعية والأخلاقية التي يفترض أن تقوم عليها الحركات الدينية الإصلاحية. ولم يتوانَ مؤرخون مثل ابن أبي زرع، وأحمد الناصري، وغيرهم، عن توجيه انتقادات صريحة لهذا المنهج، مشددين على الطابع الدموي الذي اتسمت به سياسة ابن تومرت تجاه خصومه بل وحتى أتباعه، وهو ما ساهم في تشكيل صورة قاتمة عن شخصيته في عدد من المصادر التاريخية[3].

يُعد ابن أبي زرع الفاسي من أبرز المؤرخين الذين انتقدوا بشدة الممارسات العقابية لابن تومرت، حيث وصفه في روض القرطاس بأنه "**سفاك للدماء، غير متورع عنها، يهون عليه سفك دماء عالم من الناس في سبيل هواه وبلوغ غرضه**"[4]. وقد أورد في مواضع أخرى من كتابه أمثلة تبرز تورّط ابن تومرت في قتل أتباعه أنفسهم، مما يعكس موقفاً حاسماً من هذه الممارسات ويدل على رفض واضح لمنهج العنف الذي تبنّاه الزعيم الموحدي.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ص 199

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص551.

[3] كمال رجالين، المرجع السابق، ص265

[4] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 181

من جانبه، سار الشيخ أبو العباس أحمد الناصري على نهج ابن أبي زرع في نقد سياسة ابن تومرت، بل إن تأثره به يبدو جلياً في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، حيث وصفه بأنه "**مقدام على الأمور العظام، غير متوقف في سفك الدماء، يهون عليه إتلاف عالم في سبيل بلوغ غرضه**"[1]. وتؤكد هذه العبارة موقف الناصري الرافض لاستخدام العنف كوسيلة لتحقيق الأهداف السياسية أو العقائدية.

أما عبد الواحد المراكشي، المؤرخ ذو التوجه الموحدي، فقد قدم في المعجب في تلخيص أخبار المغرب صورةً مثيرة للجدل عن مدى انقياد المصامدة لابن تومرت، حيث أشار إلى أن طاعتهم له بلغت حداً يدفعهم إلى قتل أقاربهم دون تردد، بدافع الولاء[2]. ورغم أن النص يوحي بمحاولة تمجيد الطاعة والانضباط، إلا أن تصويره لهذه الدرجة من العنف يترك انطباعاً سلبياً قد يُفهم على أنه إدانة ضمنية للنهج التومرتي، خاصة في سياق إبرازه لتطبّع أتباعه مع سفك الدماء.

أما اليسع بن أبي اليسع، فرغم انتمائه إلى مرحلة مبكرة من التأريخ للموحدين، فقد أورد روايات يصعب تصديقها عقلياً ومنطقياً، منها أن ابن تومرت قتل في يوم واحد نحو خمسة عشر ألفاً من أهل تينمل، وسبى نساءهم، وقسّم أموالهم وأراضيهم بين أصحابه[3]. ورغم ما في هذه الرواية من مبالغة واضحة، فإن مجرد توثيقها بهذه الصورة يعكس موقفاً نقدياً ضمنياً من الإفراط في العنف وتضخيمه.

[1] الناصري، المصدر السابق، ص 85

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 191

[3] ابن اليسع، أبو يحيى اليسع بن عيسى، المغرب في محاسن المغرب ، جمع وتو عبد السلام الجعماطي، دار الأمان، 2016، ص169

تتجلى خطورة هذا النهج بوضوح حين يُقارن بالمنظور القرآني، الذي يولي للنفس البشرية مكانة رفيعة ويشدد على حرمتها، حيث يقول الله تعالى:﴿ **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[1]كما يؤكد سبحانه :﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾[2].

وبذلك، فإن ما نُسب إلى ابن تومرت من ممارسات دموية تجاه خصومه بل وحتى أتباعه، لا يمكن تبريره بمفاهيم دينية أو سياسية، بل يُعد مخالفة صريحة لمقاصد القرآن في حفظ النفس والعدل. وحتى تبرير بعض هذه الأفعال بحجة درء الفتنة لا يصمد أمام التوجيه القرآني الذي يحذّر من الفتنة ولكن دون أن يجيز مواجهتها بالظلم وسفك الدماء، كما في قوله تعالى:﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾[3].

وعليه، فإن نقد هذه السياسة لا ينبني فقط على روايات المؤرخين، بل يجد أساسه المتين أيضًا في تعاليم النص القرآني ذاته، ما يجعل النهج العقابي التومرتي محلّ إدانة شرعية وأخلاقية على حد سواء.

وقد أسهم هذا التباين في الرؤى حول ابن تومرت في تشكيل صورة معقدة لهذه الشخصية في التاريخ، حيث تتقاطع فيها الأبعاد الدينية والسياسية والفكرية. فبينما يبقى بعضهم يقدسه ويرون فيه محاربًا من أجل الحق، يراه آخرون رمزًا للتمرد الذي لم يراعِ التوازن بين الدين والسياسة. تبقى إذًا قضية ابن تومرت مثالًا على التحديات التي يواجهها التاريخ في تفسير وتقييم الشخصيات الكبرى، وما تطرحه من أسئلة حول العقيدة والسلطة

[1] المائدة، الآية 32

[2] الإسراء، الآية 33

[3] الأنفال، الآية23

خاتمة:

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع ابن تومرت بين التقديس والتجريم، تبيّن لنا بوضوح مدى التفاوت في مواقف المؤرخين تجاه شخصيته؛ إذ انقسموا بين من مجّده ورفعه إلى مقام العصمة، ومن تعامل معه برؤية نقدية وتحفّظ واضح. وبناءً على ما سبق، يمكن تلخيص أبرز النتائج المتوصّل إليها فيما يلي:

تكشف تجربة الدولة المرابطية عن نموذج فريد في تاريخ المغرب الإسلامي، جمع بين قوة العقيدة السلفية والمذهب المالكي وبين الطموح السياسي والعسكري. فقد انطلقت من دعوة إصلاحية بقيادة عبد الله بن ياسين، وبلغت أوجها مع يوسف بن تاشفين، قبل أن تدخل في دوامة الانهيار بسبب اختلالات داخلية عميقة. فقد أدى تحكم الفقهاء في دواليب الحكم، وتراكم الصراعات الأسرية، والتراخي في الحزم تجاه المخالفين، إلى إضعاف بنية الدولة.

شهد المجتمع المرابطي تحولًا اجتماعيًا عميقًا تمثّل في تسرب الترف واللهو، وازدواجية بين ورع الحكام وفساد الرعية، مع تفشي نفوذ الفقهاء واستغلالهم، وتزايد دور النساء في الحكم وسط انحلال أخلاقي، وظهور السفور والاختلاط بينما تراجعت هيبة السلطة.

شهدت الدولة المرابطية جمودًا ثقافيًا وعلميًا بسبب رفض العلوم العقلية والاجتهاد، والتشدد المذهبي، مما جعل الفكر الديني منغلقًا ومحاصرًا بسلطة الفقهاء.

اختلف المؤرخون حول نسب ابن تومرت بين من نسبه إلى آل البيت ومن اعتبره أمازيغي الأصل، وقد استُخدم هذا النسب الشريف كوسيلة لتعزيز دعوته المهديّة وكسب الشرعية الدينية بين أتباعه.

أما فيما يتعلق بالبيئة المكانية فقد وُلد ابن تومرت في بيئة جبلية فقيرة بجنوب المغرب ونشأ في أسرة متواضعة ذات مكانة دينية، وقد تعددت الروايات حول سنة ميلاده. شكلت ظروف نشأته عاملًا أساسيًا في تكوين شخصيته الزاهدة، كما ساهم محيطه الأسري المتدين في غرس القيم الروحية والعلمية التي ظهرت لاحقًا في دعوته.

أما شخصيته فقد امتزجت بصفات الزهد والورع مع الذكاء السياسي والدهاء، فكان خطيبًا فصيحًا ذا تأثير روحي كبير، لكنه لم يتردد في اللجوء إلى العنف لتحقيق أهدافه. جمع بين الزهد

الظاهري والطموح القيادي، مما جعل شخصيته محط جدل بين من رآه إمامًا مصلحًا ومن اعتبره رجل سياسة متسلطًا.

رسّخت الرحلة العلمية الطويلة لابن تومرت معارفه الدينية والعقلية، ومكّنته من الاطلاع على مختلف المذاهب الفكرية والاتجاهات العقدية، ما ساعده على بناء مشروعه الإصلاحي والعقدي عند عودته إلى المغرب، مستندًا إلى ثقافة مشرقية معمّقة وروح نقدية متأثرة بالمنهج الكلامي الأشعري.

ابن تومرت نشر دعوته الإصلاحية في المغرب بعد دراسته في المشرق، مركزًا على محاربة البدع وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مرَّ بتحديات ومصاعب في المدن التي زارها مثل مكة ومصر وبجاية، وكان يسعى لتعليم الناس وتوجيههم، مستخدمًا أساليب متنوعة مثل التعليم والعنف. وقد نجح في جذب العديد من الأتباع رغم معارضة الحكام والفقهاء.

استخدم ابن تومرت فكرة المهدي المنتظر كأداة لإصلاح الوضع الاجتماعي والديني في المغرب خلال القرن الخامس الهجري، حيث استغل الفساد والظلم السائدين لإقناع البدو بوجود المهدي الذي سيخلِّصهم. أعلن عن مهدويته في عام 1121م، وأطلق حركة إصلاحية أدت إلى إسقاط دولة المرابطين. قسم أتباعه إلى طبقات وفرض عليهم عقيدة توحيدية مشددًا على أن من لا يؤمن بها يعتبر كافرًا. كما جعل الإمامة والعصمة جزءًا أساسيًا من دعوته، مؤكدًا أن الإمام معصوم وطاعته واجبة على أتباعه دون نقاش، حتى وصل إلى قتل من يشكك في عصمته.

كفّر ابن تومرت المرابطين باتهامهم بالجهل والظلم والتجسيم، وربطهم بأحاديث الفساد في آخر الزمان، محرّضًا على قتالهم ومحرّمًا طاعتهم، وسعى بذلك لنزع شرعيتهم وتحريض العامة عليهم وتوسيع قاعدة دعوته.

خاض ابن تومرت عدة مناوشات عسكرية مع المرابطين، بدأت بانتصاره في جبل إيجليز سنة 516هـ/1122م، وتوالت بعدها المعارك التي حقق فيها الموحدون عدة انتصارات، مما ساهم في اتساع نفوذه وبيعة القبائل له، ومع التحضير لحصار مراكش، استحدث ابن تومرت "نظام التمييز" الذي هدف إلى تطهير صفوفه من المعارضين والمترددين، مما أدى إلى إبادة أعداد من قبائل مصامدية. وبلغ الصراع ذروته في حصار مراكش سنة 524هـ/1130م، حيث اجتمع حوله نحو أربعين ألف

مقاتل بقيادة عبد المؤمن بن علي، لكن المعركة المعروفة بـ"واقعة البحيرة" انتهت بهزيمة الموحدين. ورغم ذلك استمرت الغارات على مراكش، إلى أن توفي ابن تومرت في نفس السنة، ليفتح الباب أمام مرحلة جديدة من الصراع بقيادة عبد المؤمن.

أسّس ابن تومرت دعوة دينية صارمة جعلته مرجعًا روحيًا للدولة الموحّدية، فظلّ فكره العقدي والسياسي أساسًا للشرعية، واستمر خلفاء الموحدين في تبجيله والتمسك بتعاليمه لضمان وحدة الدولة واستقرارها.

سعى مؤرخو الدولة الموحدية، كالبيدق وابن القطان، إلى تقديم ابن تومرت في صورة الإمام المعصوم والمجدد الإلهي، مجسّدين بذلك ولاءهم العقائدي والسياسي للموحدين، حيث برّروا أفعاله القمعية وعدّوها تطبيقًا للحكمة والشريعة. وقد طغت على كتاباتهم نزعة التقديس، مما جعلها تفتقر للموضوعية والنقد التاريخي المتوازن.

ابن تومرت ادعى المهدوية والعصمة لنفسه، حيث زعم أنه المهدي المنتظر الذي سيحقق العدل في الأمة، وهو ما يتناقض مع الفهم السني للمهدوية الذي لا يحدد مكانًا لظهوره ولا يعطي العصمة إلا للأنبياء. كما ادعى النسب القرشي لتعزيز دعوته، وهو افتراء على النصوص الشرعية. إدعاء العصمة كان انحرافًا عقائديًا، إذ أن العصمة خصيصة للأنبياء فقط، ما جعل دعوته تتقارب مع الفكر الشيعي القائل بعصمة الأئمة.

ابن تومرت اشتهر باستخدام العنف في دعوته، حيث استحل دماء خصومه وأتباعه الذين خالفوه. بدأ العنف منذ بداية دعوته، حيث قتل وأعدم العديد من المعارضين له، وفرض القتل على من يرفض التبعية له. استحل دماء المرابطين وكفّرهم بسبب اختلافاتهم العقدية، وكان لديه ميل كبير لسفك الدماء، ما جعله يشبه في بعض تصرفاته الخوارج. أبرز مثال على ذلك هو "يوم التمييز".

المنهج العقابي الذي اتبعه ابن تومرت لم يلقَ القبول الكامل بين ساكنة المغرب الإسلامي، حيث واجه اعتراضات وانتقادات من بعض المؤرخين وأتباعه، الذين رأوا فيه استخدامًا مفرطًا للعنف وسفك الدماء، مما أضر بالقيم الدينية والأخلاقية للمجتمع.منهم ابن أبي زرع الفاسي، أحمد الناصري، اليسع بن أبي اليسع.

ابن تومرت شخصية محاطة بهالة من الغموض حيث رغم المكانة المركزية التي تمتع بها باعتباره مؤسس الدولة الموحدية والمهدي المنتظر في نظر اتباعه. فانه لم يعهد بالخلافة الى ذوي رحمه بل اوكلها الى رجل خارج سلالته. هذا الاختيار يثير تساؤلات حول طبيعة مشروعه: هل كان نزيها من

الملاحق

[1]ملحق01: خريطة عودة ابن تومرت من المشرق

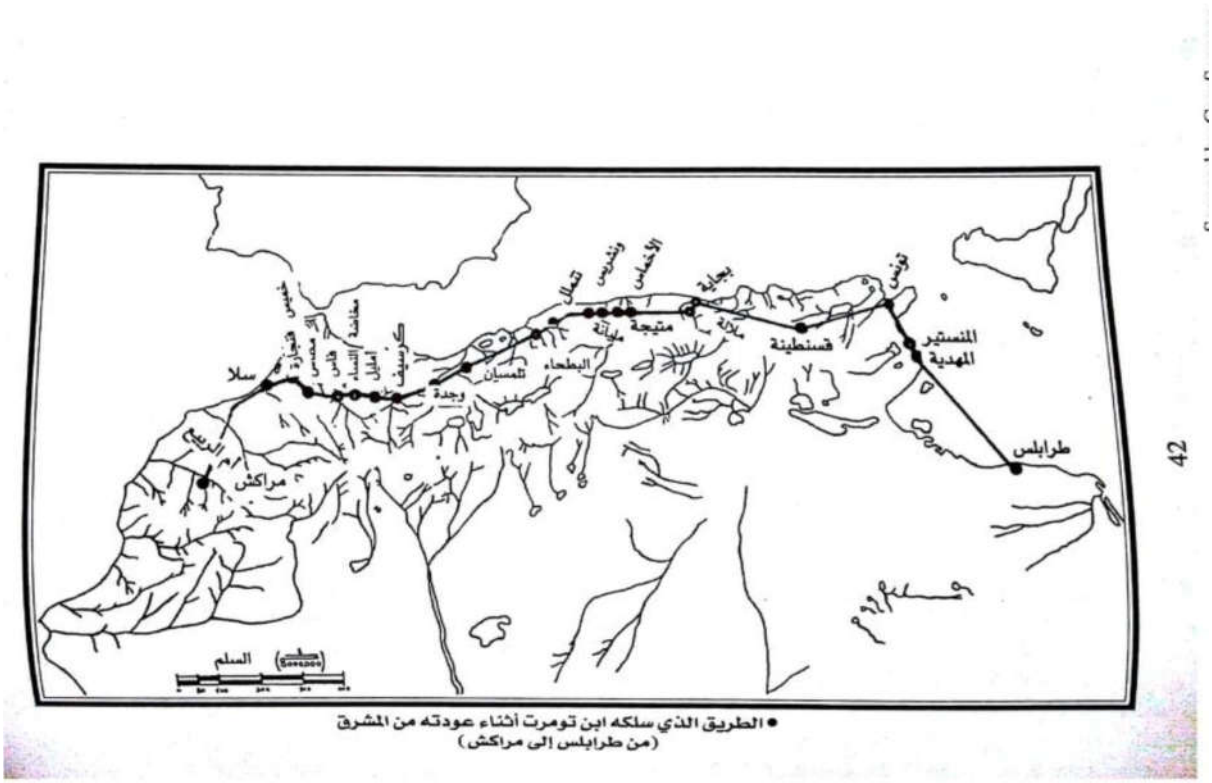

• الطريق الذي سلكه ابن تومرت أثناء عودته من المشرق
(من طرابلس إلى مراكش)

42

[1]هويثي ميرندا، هويثي ميرندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، الرباط 2004، ط1، ص 42.

ملحق 02: رسالة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي إلى الطلبة الذين بسبتة وجميع من من فيها من الموحدين عامة وخاصة.

[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة الاولى

وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر أحمد بن عطيّة :

من أمير المؤمنين ـ أيّده الله بنَصره ، وأمدّه بمَعُونته ـ إلى الطَّلَبة الذين بسَبْتة وجميع من فيها من الموحّدين خاصّةً وعامّة ـ وفّقهم الله وسدّدهم ـ سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاتُه .

أمّا بعد فالحمد لله مولي الرغائب ، ومسنّي الآمال والمطالب ، وقابل توبة التائب ، نحمده بما يتعيّن من حمده الواجب ، ونصلّي على محمّد نبيّه العاقب ؛ وعلى آله وصحبه أُولي المفاخر السنيّة والمناقب . ونصل الرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، المحرز شرف المبادئ والعواقب ، المجلي بنوره الثاقب ، حجب الظلام الواقب . وكتبناهُ إليكم ـ كتب اللهُ لكم شكراً مُوالياً مُعادا ، وتوبةً تجعلونها قاعدةً لأعمالكم وعمادا ، وصلاحاً لا يفارق بحمد الله نماءً او ازديادا ـ من حضرة مرّاكش ـ حرسها الله ـ وقد وَصَلَنا بحمد الله على أتمّ أحوال الظفر واليمن ، وعُدنا إليها تحت ظلّ السلامة التامّة والأمن ؛ بعد كمال الغزوة المباركة وتمامها ، وإطفاء نار الفتنة ببرد الهدنة وسلامها ، وإلصاقِ أنوف الكفرة المرتدّين

رسائل موحدية : 1

[1] ليفي بروفنسال، رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، ج 10، المطبعة الاقتصادية ، الرباط 1941م ص01.

برغامها، وقطعِ دابر القوم المجرمين في هذه الجهة وما انتظم في نظامها؛ ونال الغزاةُ في هذه الحركة الميمونة من الاجور، والمغنم الموفور، والفضل الذي ينشر عليهم أجنحتَه يَوْمَ النشور، ما لا يتمكّن لأحد من البشر وصفُه على حال، ولا يتأتّى لمخلوق نَعْتُه على استيفاء وإكمال. فطوبى ثمّ طوبى لمن حضر في سبيل الله فأحضر، وأخلص نيّته في غزوه الميمون بمبلغ ما استطاع وقدر، وتساعدَتْ جوارحُه في تخليص ما اكتسب من هذه الفضائل واذّخر.

وإنّ النعمة ـ وفّقكم الله ـ بهذه الفتوح العميمة العامّة شاملةٌ على من أخذ بهذا الأمر العزيز ودان، وتَزَيّا بحُلّته البهيّة فازدان؛ فهي الفتوح التي ظهر بها من آيات المهديّ ـ رضي الله عنه ـ العجبُ العُجاب، وفاض فيها من بركاته الفيضُ المنساب، ودرّتْ بها الأرزاق وانتشر الأمن وكُرم المآب. وكان أمْرُها مخصوصاً بالمرتدّين الخاسرين؛ فمحقهم وطيسُها الشديد الغلّاب، وليس لله على ذلك إلّا الحمد والشكر والمتاب.

فاشكروا الله، عبادَ الله، شكراً دائماً مستمرًّا مع الاحيان، وأحسنوا ضمائركم، وطهّروا سرائركم، في مقابلة هذا الاحسان، وتوبوا إلى الله جميعاً توبَةً نَصوحاً غاسلةً للقلوب من الادران؛ فالتوبةُ أصلٌ للاعمال الراجحة، والمتاجر الرابحة؛ ونعوذ بالله من الخسران. وقد آن لكم، أيُّها المؤمنون، أن تجدّدوا توبتَكم تجديداً وكيدا، وتغتنموا من هذه النصائح التي تتداولكم حظًّا مُفيدا، وتشهدوا الله على التمسُّك بعصم الايمان، وكفى

1

[1] ليفي بروفنسال، رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، ج 10، المطبعة الاقتصادية، الرباط 1941م، ص 02

﴿ للكاتب أبي جعفر بن عطيّة عن الخليفة عبد المؤمن ﴾ ٣

به شهيدا . فبادِروا ـ رحمكم الله ـ إلى طاعة الله تعالى في العلانية و لنجوى ، وشدُّوا أيديكم على هذا الحبل الامتن الاقوى ، واعلموا أنّكم راحلون ، فتَزَوَّدوا ، فإنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَى ؛ وحافِظوا ـ أصلحكم الله ـ على إخلاص النيَّات ، والتزام الصلوات ، وسائر أعمال الطاعات ، وتلاوة القرآن والتوحيد فهي أكرم التلاوات . واصفحوا ، واصلحوا ، وتعاملوا بالخير تفلحوا ، واقرعوا أبواب الرحمة بإيمان الأيمان تستفتحوا ؛ وواظبوا على تغيير المنكر وأتَمِروا بَينكم بِمَعروف تنجحوا . واشتغلوا بدينكم اشتغالاً يُخلّصكم ، والتزموه التزاماً يخصُّكم على الدوام ويُحرّصكم ؛ وتزيَّدوا من الاعمال الصالحة في هذه الاعمار التي لا تزال مع اللحظات تُنقّصكم . ورحم الله إمْرَءًا سمع النصيحة فابتدرها ، وجاهد نفسه على طاعة الله فقهرها ، وأخذ عليها مآخذ الشهوات فنهاها بالحقّ وأمرها . أعاننا الله وإيّاكم على شكر نعماه ، وطلب رحماه ؛ بعزّته . والسلام .

1

[1] ليفي بروفنسال، رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية، ج 10، المطبعة الاقتصادية ، الرباط 1941م، ص 03.

الملحق 04: ضحايا التمييز

[1]

اسم قائد الحملة	القبيلة المعاقبة	عدد الضحايا
أبو أكدم ويحيى ابن كرط	هزميرة	500
محمد ابن مسكان و عبد الله ابن ملات	زكراكة	800
أبي سعيد و عثمان ابن عفان	حاجة	800
ابن يكبت وابن نصوي	أهل سوس	600
ومصال بن درح و ابن سيان	إيتكست	600
موسى ابن عيسى و الحسن بن سليمان	جزولة	500
سليمان ابن ميمون وعلي ابن يحيى	هسكورة	2500
عمر ابن ميمون و عبد الله ابن داود	تدلا	7500
بوسيد يخلف و محمد ابن يحيى الكسيري	الرباط	12800
أبو عبد الله محمد ابن سليمان ويحيى بن نوكروني	غمارة	900
عبد الله ابن بن فاطمة اللتروني و ابو ترتارت	برغواطة	600
اسحاق بن عمرو الهنتاني	دكالة	600
الحسن ابن المعلم وعلي ابن يخلف	هرلانة	800
زكريا ابن سعد الله الوريكي	وريكا ومزرحة	250
محمد بن سحنون و عبد الكريم النباني	لجاعة وغيدانة	150
يحيى و عبد الصمد الدرعي تادراوت	درعة	600
محمد ابن أبي بكر ابن ترتدوب	لم يذكر لها اسم	1000
يوسف بن سليمان عبد الله ابن خيار الجباني	فاس ومكناسة	580
المجمـــوع		33000

يبين هذا الجدول مدى تساهل الموحدين في سفك الدماء وقتل كل من يخالفهم وهو مايدل على وجود نزعة خارجية في العقيدة التومرتية.

[1] حسين بولقطيب، جوائح وأوبئة، عهد الموحدين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص 95.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا: القران الكريم برواية ورش عن نافع الأزرق

ثانيا: المصادر

1. ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله، (ت726هـ-1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط 1972،
2. ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي المكارم، (ت630هـ-1233م)، **الكامل في التاريخ**، ج8، تحقيق: محمود يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1998.
3. ==========، **الكامل في التاريخ**، مرا: محمد يوسف الدقاق دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.
4. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد السلماني، (ت776هـ-1384م)، **اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان1956.
5. ابن القطان المراكشي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الفاسي،(ت628هـ-1230م)، **نظم الجمان لترتيب ماسلف من اخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، د.ت .
6. ابن القيم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، ، تح: يحيى بن عبد الله الثمالي، دار عالم الفوائد لنشر والتوزيع، د ت.
7. ابن الكثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، (ت774هـ-1372م)، **النهاية في الفتن والملاحم**، دار الحديث، د.ط، د.ت.

8. الغافقي، اليسع بن عيسى بن حزم، (ت575هـ-1129م)، **المغرب في محاسن المغرب** ، جمع وتوثيق: عبد السلام الجعماطي، دار الأمان، 2016.

9. ابن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت524هـ-1129م)، **اعز مايطلب**، تقديم وتحقيق: عمار الطالبي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1903م،

==========، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971 .

10. ابن تيمية، ابي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية**، تح: محمد رشاد سالم، د د،1986،ط1.

11. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، (ت808هـ-1405م)، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1971

12. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت671هـ-1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997.

13. ابن عذارى، ابو العباس أحمد ابن محمد المراكشي، (ت712هـ-1312م)، **البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، تحقيق بشار عواد معروف محمد بشار عواد، مج3، دار الغرب الإسلامي، تونس2013،

14. ابن غلبون الطرابلسي، أبي عبد االله محمد بن خليل، (ت1177هـ-1763م)، **التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخيار**، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، 2004.

15. ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، (ت799هـ-1396م)، **الديباج المذهب لمعرفة أعيان علماء المذهب**، ج2، ط01، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الرياض 1423هـ/2003م.

16. البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، (ت558هـ-1163م)، **كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1971.

17. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت748هـ-1396م)، **العبر في خبر من غبر**،ج2، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1405

==========، **سير اعلام النبلاء**، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1984م، ط 01.

18. الزركشي، ابي عبد الله محمد بن ابراهيم،(ت932هـ-1526م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1969.

19. العسفلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، (ت852هـ-1448م)، **لسان الميزان**، ج6، ط1، دار البشائر الاسلامية، بيروت ، لبنان 1423هـ/2002م.

20. الغزالي، أبو حامد أحمد بن محمد، (ت505هـ-1111هـ)، **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمن البدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت.

21. مجهول، مؤلف أندلسي من القرن الثامن هجري، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الرباط، ط1، 1399هـ/1979.

22. المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، (ت620هـ-1224م) **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، ضبطه وعلق حواشيه وانشا مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي، ط 1، مطبعة الاستقامة القاهرة، 1368 هـ 1949م.

ثالثا: المراجع

1. بيل ألفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987.
2. حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الاسلام السياسي والديني و الثقافي و الاجتماعي**، ج 4، دار الجيل ، بيروت 1416هـ -1996م.
3. حسن جلاب، **الدولة الموحدية – أثر العقيدة في الادب**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1995.
4. خلف العبيدي إبراهيم، **البرغواطيون في المغرب 127هـ 542هـ**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب 1999م.
5. خلف الله ابتسام علي ، **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي**، د.ط، دار المعارف، جامعة الاسكندرية 1405هـ- 1985هـ.
6. سالم عبد العزيز السيد، **تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الاسكندرية 1986.
7. السامرائي أسامة عبد الحميد حسين ، **دولة الموحدين تأسيسها- ثورتها -تنظيماتها- عقيدتها**، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان 1971

8. السرجاني راغب ، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، مؤسسة اقرأ لنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

9. السيلاوي، أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جغفري الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1904، ج2.

10. شوقي أبو خليل، **الأرك بقيادة المنصور الموحدي** ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بدمشق، 1993 م ، ط01

11. الصلابي علي محمد ، **دولتي المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا**، دار المعرفة، بيروت لبنان. د.ت.

12. =========، كتاب معركة الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، الطبعة 2، 1993

13. ========== ، صفحات من التاريخ الإسلامي–دولة الموحدين، ج5، دار البيارق للنشر، عمان 1998

14. عصمت عبد اللطيف دندش، **الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ:546هـ /1116م: 1151م** ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان ، 1988م /هـ1408.

15. عنان محمد عبد الله ، **دولة الاسلام في الأندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب الأندلس**، مطبعة المدني، القاهرة،ط2، 1411هـ/1990م،

16. القبلي محمد ، **كرنولوجيا تاريخ المغرب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة،ط1، 2012.

17. لي تورنو روجي ، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، ترجمة: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس1982،

18. ليفي بروفنسال، **الإسلام في المغرب و الأندلس**، تر :محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1990

19. ليفي بروفنسال، **رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج 10، المطبعة الاقتصادية ، الرباط 1941م.

23. المباروكفوري، أبي العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحليم،(ت1353هـ-1934م)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع ابن الترمذي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت.

20. مونتغمري وات، **في تاريخ اسبانيا الاسلامية مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا**، ترجمة محمد رضا، شركة المطبوعات، لبنان 1998.

21. النجار عبد المجيد، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الاسلامي، 1403هـ / 1983م.

22. =========، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1997.

23. هشام أبو رميلة، **علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية بالأندلس**، دار الفرقان، عمان، الأردن،1984، ط1

24. هويثي ميرندا أمبروسيو ، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، ترجمة: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، الرباط 2004، ط01،ذ

رابعا: المقالات

1. حمودي ولد حمادي، **مسألة الإمامة عند مهدي الموحدين: ابن تومرت**، مجلة دراسات، جامعة نواكشوط، ديسمبر 2016.

2. ربوح عبد القادر، **منهج الاصلاح ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط حركة المهدي بن تومرت نموذجا**، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 09، جامعة المسيلة، سبتمبر 2018.

3. رجالين كمال، رضا شعبان، **التأديب والعقاب عند ابن تومرت من خلال أخبار المهدي للبيذق**، المجلة التاريخية الجزائرية ، مجلد 06، عدد 02، باتنة ، الجزائر2022.

4. الشيخ عدة ، **مظاهر التركيز على أخطاء المرابطين في دعوة المهدي بن تومرت وأثرها في قيام دولة الموحدين**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع و التاريخ، مجلد 18 ، عدد01، جامعة الشلف، اوت 2022.

5. العامري أحمد، حميد رضا بيكدلى، **المهدي بن تومرت وحياته الفكرية والاجتماعية قراءة تاريخية**، مجلة أضواء الحضارة الإسلامية، المجلد1، ع2، جامعة الأديان والمذاهب إيران، مارس2024.

6. عواد المنور، بن معمر محمد، **الكتابة التاريخية عند البيذق من خلال كتابه أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، المجلد 11، عدد 1، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة وهران1، جامعة الجزائر1، مارس 2020.

7. مغنية غرادين، **ثورة المريدين بغربي الأندلس**، جامعة تلمسان،د.ت.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. الإدرسي علي الهادي، **الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 1986-1987.

2. ارحومة سالم امهيري ابراهيم، **محمد بن تومرت وآرائه الفكرية**، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، في علم التفسير بجامعة سبها، ليبيا، 2006 .

3. بلاغ عبد الرحمن، **الحركة السياسية والفكرية في المغرب الأوسط خلال العصر الموحدي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص حضارة المغرب الإسلامي، جامعة طاهري محمد بشار، ،2018.

4. شرقي نوارة، **الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ – 667هـ)– (1129م– 1268م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر،2007م– 2008م .

فهرس المحتويات العام

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ

الفصل الأول: عصر وشخصية ابن تومرت

اولا: الأوضاع في المغرب قبيل ابن تومرت.....8

1-الوضع السياسي 8

2-الوضع الاجتماعي: 11

3-الوضع الثقافي: 14

ثانيا: ترجمة المهدي ابن تومرت.....16

1-اسمه ونسبه:.....16

2-مولده ونشأته: 18

3-ملامح شخصيته:.....20

4- رحلاته العلمية وتكوينه الفكري: 21

الفصل الثاني: ابن تومرت بين الإصلاح والتغيير السياسي والعسكري

أولا: دعوته للإصلاح الديني.....27

1-التركيز على محاربة البدع وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 27

2-ادعاؤه للمهدوية: 31

3-اعتقاد الإمامة والعصمة ووجوب الطاعة: 34

ثانيا: الصراع العسكري لابن تومرت 38

1-تكفير المرابطين.....38

2-المناوشات مع المرابطين: 40

3-حصار مراكش 43

الفصل الثالث: مظاهر التقديس والتجريم لابن تومرت

أولا: مظاهر التقديس لابن تومرت 48

1-عند الحكام الموحدين: 48

2-مكانته عند المؤرخين والعلماء: 50

ثانيا: مظاهر التجريم لابن تومرت في المصادر التاريخية 55

1-الانحرافات العقدية والفكرية في دعوة ابن تومرت: المهدوية والعصمة 55

2-استحلال واراقة الدماء في دعوة ابن تومرت 59

خاتمة: 64

قائمة المصادر والمراجع 75

فهرس المحتويات العام 84

الملاحق 69

الملخص:

ابن تومرت هو عبد الله بن تومرت، فقيه ومصلح ديني ومؤسس الدولة الموحدية. وُلد في منطقة سوس بالمغرب، وتلقى تعليمه في المشرق الإسلامي، حيث تأثر بأفكار الإصلاح الديني والكلامي وعند عودته إلى المغرب، بدأ في نشر دعوته التي تمحورت حول تنقية العقيدة ومحاربة البدع والانحرافات التي رأى أنها سادت في عهد المرابطين، رافعًا شعار "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" .ولتحقيق مشروعه الإصلاحي، تبنى ابن تومرت أسلوبًا يجمع بين الدعوة السلمية والعمل السياسي والعسكري، حيث أعلن نفسه "المهدي المنتظر"، وادّعى العصمة، ما منحه سلطة مطلقة على أتباعه، وعزّز من شرعية حركته. كما كفّر المرابطين واعتبرهم منحرفين عن الدين الصحيح، وبدأ بمناوشات عسكرية ضدهم انتهت بمحاولة حصار مراكش. وقد انقسمت المواقف حوله؛ فبينما رأى فيه أنصاره إمامًا مصلحًا ومجددًا، اعتبره خصومه خارجيًا متطرفًا استحل الدماء باسم الدين. وبعد وفاته استكمل أتباعه بقيادة عبد المؤمن بن علي بناء الدولة الموحدية على أساس دعوته.

الكلمات المفتاحية:

ابن تومرت، الدولة الموحدية، الدولة المرابطية، المشروع الإصلاحي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المهدي المنتظر، العصمة، تكفير المرابطين

Abstract

Ibn Tumart was a jurist, religious reformer, and the founder of the Almohad state. He was born in the Sous region of Morocco and received his education in the Islamic East, where he was influenced by ideas of religious and theological reform. Upon his return to Morocco, he began spreading his call, which focused on purifying the faith and combating what he saw as widespread heresies and deviations during the Almoravid era, raising the slogan of "enjoining good and forbidding evil."

To achieve his reformist project, Ibn Tumart adopted a strategy that combined peaceful preaching with political and military action. He declared himself the "Mahdi" (guided one) and claimed infallibility, which granted him absolute authority over his followers and strengthened the legitimacy of his movement. He also accused the Almoravids of deviating from true Islam and engaged in military skirmishes against them, which culminated in an attempted siege of Marrakesh.

Opinions about him were divided: while his supporters viewed him as a reforming imam and renewer, his opponents saw him as a radical extremist who shed blood in the name of religion. After his death, his followers, led by Abd al-Mu'min ibn Ali, continued building the Almohad state based on his teachings.